روايات مصرية للجيب

الكتاب الثالث عشر

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

جزيرة القدر

وقصص أخرى

Looloo
www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

- مع بدء العد التنازلى ، نحو القرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

العقاب

(قصة قصيرة)

حلّ (خميس) رباط عنقه ، وهزّ رأسه يمنة ويسرةً ، وكأنما يحاول التخلّص من تأثير ضغط الرباط على عنقه ، وأطلق زفرة عميقة ، وهو يرقد مسترخيًا ، أو محاولًا الاسترخاء ، فوق منضدة الكشف الخاصة ، فى عيادة الدكتور (فهمى) ، الذى ظلّ صامتًا ، منتظرًا ، حتى ينتهى (خميس) من حركاته المتوترة العديدة ، ثم مال نحوه ، وسأله فى هدوء :

ــ هل تشعر بالاسترخاء الآن يا سيّد (خميس) ؟

لم يكن (خميس) يشعر بذلك على الإطلاق ، ولكنه أومأ برأسه إيجابا ، فمنحه الدكتور (فهمى) ابتسامة مشجعة ومطمئنة ، وهو يكمل :

ــ أحب أن أذكرك فى البداية بضرورة ذكر الحقائق .. كل الحقائق .

تمتم (خميس) :

ــ سأفعل .

اتسعت ابتسامة الدكتور (فهمى) أكثر ، وقال :

ــ عظيم .. هكذا ينبغى أن تكون العلاقة بين الطبيب النفسى ومريضه .. إنك لم تأت إلى هنا ، إلا لأنك تشعر بحاجتك إلى علاج نفسى .. أليس كذلك ؟

أومأ (خميس) برأسه إيجابا ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ــ بلى يادكتور (فهمى) .. إننى أعانى عذابا رهيبا .. ذلك الكابوس سيقتلنى .

ربت الدكتور (فهمى) على كفه فى رفق ، ليبث فى نفسه بعض الطمأنينة ، وهو يقول :

ــ أخبرنى كل ما لديك ، وسنحاول منعه من مهاجمتك مرة أخرى .

بدا التردد على وجه (خميس) ، فربت الدكتور (فهمى) على كتفه مرة أخرى ، وقال :

ــ وينبغى أن تعلم أنه ليس من حق الطبيب النفسى كشف أسرار مرضاه ، فالقانون يعاقبه على هذا ، ولا يعترف بما كشفه من أقوال أو اعترافات .

كان من الواضح أن هذه هى العبارة التى يحتاج إليها (خميس) بالذات ، فقد تنهد فى ارتياح ، وبدأ جسده يسترخى بالفعل ، وهو يتطلع إلى الدكتور (فهمى) بعينين نصف مغلقتين ، فى حين سأله الدكتور (فهمى) فى صوت خافت هادئ ، يدعو إلى الثقة :

ــ والآن ما نوع الكابوس ، الذى يهاجم أحلامك دائمًا ؟

تقلصت عضلات وجه (خميس) ، وهو يجيب :

ــ إنه كابوس بشع يا دكتور (فهمى) .

وازدرد لعابه مرة أخرى ، قبل أن يضيف :

ــ أرى نفسى سائرًا وسط المقابر ، والظلام والضباب يحيطان بى من كل جانب ، ثم يظهر ذلك الصبى .

سأله الدكتور (فهمى) فى اهتمام :

ــ أى صبى ؟

أجابه (خميس) ، وهو يرتجف :

ــ الصبى الأحمر الشعر ، ذو الندبة الصغيرة على جبهته ، وطابع الحسن فى منتصف ذقنه .. أراه يخرج من قبر مفتوح ، ويتجه إلىّ مباشرة ، وعيناه تحملان غضب الدنيا كلها ، ثم .. ثم ..

سأله الدكتور (فهمى) فى انفعال واضح ، وكأنما أثاره الوصف :

ــ ثم ماذا ؟

ارتسم الهلع فى عينى (خميس) ، وهو يستعيد تفاصيل الكابوس ، وأخذ يلوّح بكفه ، وهو يجيب :

ــ ثم تمتد يدا الصبى نحو عنقى ، وأراهما يدين من العظام ، كأيدى

الهيكل العظمى ، وأحاول التراجع ، ولكن الأصابع العظمية تحيط بعنقى ، و .. و ..

هتف الدكتور (فهمى) :

ــ وماذا ؟

جحظت عينا (خميس) فى رعب ، وهو يقول :

ــ وأختنق .. أختنق حتى أكاد ألفظ أنفاسى الأخيرة ، قبل أن أستيقظ صارخًا ، وينبض قلبى فى عنف .. قلبى المريض .

أجهش فجأة بالبكاء ، فى حين لاذ الدكتور (فهمى) بالصمت التام ، وهو يتطلّع إليه فى جمود ، حتى انتهى من بكائه ، فسأله :

ــ أيراودك هذا الكابوس كثيرًا ؟

أومأ (خميس) برأسه إيجابًا ، وهو يمسح دموعه ، قائلًا :

ــ أكثر مما تتصوّر يا دكتور (فهمى) .. إنه عقاب .. أعلم أنه كذلك .

اعتدل الدكتور (فهمى) فى مجلسه ، وسأله :

ــ لماذا تتصوّر أنه عقاب ؟ .. أكنت تعرف هذا الصبى من قبل ؟

أغمض (خميس) عينيه ، وأشاح بوجهه ، وهو يقول فى مرارة :

ــ لقد رأيته مرة واحدة .

مال الدكتور (فهمى) نحوه ، وقال فى اهتمام :

ــ متى ؟ .. وكيف ؟

صمت (خميس) بعض الوقت ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ــ كان هذا منذ عشر سنوات تقريبًا .. ولم أكن أيامها ثريًا ، كما أنا الآن ، بل كنت قد خرجت من السجن على التو ، فقيرًا ، ناقمًا على الدنيا ، كارهًا لكل الأغنياء والأثرياء .. وكنت أبحث عن عمل ، يتيح لى فرصة الاندماج مرة أخرى بالمجتمع ، ويواجهنى الرفض فى كل مرة ؛ لأننى خريج سجون سابق ، مما زاد من مقتى ومرارتى وغضبى .

وازدرد لعابه فى صوت مسموع ، قبل أن يكمل :

ــ ثم وقع بصرى على ذلك الصبى .

سأله الدكتور (فهمى) فى اهتمام شديد :

ــ أهو نفس الصبى ، الذى يظهر فى الكابوس؟

أومأ (خميس) برأسه إيجابًا ، وهو يعضّ شفته السفلى ، مجيبًا :

ــ نعم .. نفس الصبى الأحمر الشعر ، بطابع الحسن فى منتصف ذقنه ، وتلك الندبة الصغيرة فى جبهته .

مال الدكتور (فهمى) نحوه أكثر ، يسأله :

ــ وماذا فعلت به ؟

بدأت دموع (خميس) تنهمر مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ كان يرتدى ساعة من الذهب ، يكفى ثمنها لإطعامى شهرًا كاملًا ، وكانت رائحة الثراء تفوح منه فى وضوح ، فاتجهت إليه ، واستدرجته خلف مبنى قديم ، و ..

صمت قاطعًا عبارته ، وراحت شفتاه ترتجفان فى شدة ، فسأله

الدكتور (فهمى) :

ــ وماذا ؟

صاح كمن يلقى عن

ــ وخنقته .

قالها وانفجر باكيًا ، فى حين تراجع الدكتور (فهمى) بمقعده فى حركة حادة كالمصعوق ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى وجه (خميس) ، الذى واصل من خلال دموعه :

ــ جثمت على صدره بلا رحمة ، واعتصرت عنقه الصغير بيدىّ العاريتين ، متجاهلًا صراخه وتوسلاته ، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ، فانتزعت الساعة الذهبية من يده ، وانطلقت هاربًا .

كان من الواضح أن الدكتور (فهمى) قد تأثّر كثيرًا ، من هول وبشاعة ماسمع ؛ فقد ظلّ صامتًا طويلًا ، حتى بعد أن انتهى (خميس) من روايته ، وراح يتطلّع فى قلق إلى طبيبه ، الذى سأله أخيرًا :

ــ وماذا فعلت بعد ذلك ؟

أجابه (خميس) :

ــ بعت الساعة ، وبدأت تجارة صغيرة بجزء كبير من ثمنها ، وسرعان ماتمت تجارتى وازدهرت ، وصرت ــ كما ترى ــ واحدًا من كبار الأثرياء ورجال الأعمال فى عشر سنوات فحسب .

ثم انفجر مرة ثالثة باكيًا ، وهو يستطرد فى انفعال :

ــ كل هذا بدم الصبى البرىء .

تطلّع إليه الدكتور (فهمى) لحظة فى صمت ، ثم نهض يلتقط من

دولابه الخاص قنينة صغيرة ، غرس فى فوهتها المطاطية إبرة محقنه ، وملأ المحقن بمحتوياتها ، ثم عاد يكشف ذراع (خميس) ، ويدفع إبرة المحقن فى أوردته ، فهتف به (خميس) فى جزع :

ــ ما هذا ؟

أجابه الدكتور (فهمى) فى هدوء :

ــ اطمئن .. إنه عقار مهدئ ، فأعصابك مهتاجة للغاية

صاح (خميس) فى ذعر :

ــ لا .. لا أريد أن أنام .. سيعاودنى ذلك الكابوس البشع ، لو استسلمت للنوم .

عاد الدكتور (فهمى) إلى مقعده ، وهو يقول :

ــ لا تقلق .. كل إنسان يحتاج إلى النوم ، ولا يمكنك أن تبقى مستيقظًا طيلة حياتك .

هتف (خميس) فى خوف :

ــ إنك لا تفهم شيئًا يا دكتور (فهمى) .

استرخى الدكتور (فهمى) فى مقعده ، وهو يقول :

ــ اشرح لى إذن .

ازدرد (خميس) لعابه مرة أخرى ، وقال :

ــ كل مرة يهاجمنى فيها هذا الكابوس اللعين ، تزداد قوة ضغط الأصابع العظمية على عنقى ، وفى كل مرة أفلت من الموت فى صعوبة ، وذات مرة سيضاعف الضغط على عنقى ، وألقى حتفى بسبب كابوس

ابتسم الدكتور (فهمى) فى هدوء ، وقال :

ـــ اطمئن .. لن يحدث هذا .

شعر (خميس) بأطرافه تتراخى ، وبأجفانه تتثاقل ، وهو يقول :

ـــ وماذا عن قلبى المريض ؟ .. إنه سينهار حتمًا ذات يوم ، مع كل هذا الرعب .

قال الدكتور (فهمى) ، وابتسامته تتسع أكثر :

ـــ اطمئن مرة أخرى يا رجل ، فقلبك لن ينهار من الرعب .

ثم مال نحوه بغتة ، مستطردًا فى مقت رهيب :

ـــ بل من تلك المادة ، التى حقنتك بها منذ لحظات .

اتسعت عينا (خميس) فى رعب ، وهو يهتف :

ـــ المادة ؟!

أجابه الدكتور (فهمى) ، وهو يبتسم ابتسامة شامتة ظافرة :

ـــ نعم يا (خميس) ، المادة التى حقنتك بها ستدفع قلبك للنبض فى قوة وعنف ، وستبلغ نبضاته حدًا تعجز معه عضلاته عن الاحتمال ، مع الجرعة المضاعفة ، التى دفعتها فى عروقك ، والتى تحذرنا الكتب من بلوغها ، ومع انهيار عضلات قلبك وإنهاكها ، ستتوقف عن العمل ، وتصرخ خلاياك طالبة الأكسجين ، وتسرى فى صدرك آلام مبرحة ، وتجحظ عيناك وتتقطع أنفاسك ، و ..

ومال نحوه أكثر ، وهو يستطرد فى مقت واضح :

ـــ وتموت .

بدأ (خميس) يشعر بآلام صدره ، وحاجته إلى التنفس بالفعل ، وخُيِّل إليه أن قلبه ينبض فى قوة ، حتى ليكاد يخترق صدره ، وهو يهتف بالدكتور (فهمى) فى رعب :

ـــ ولكن لماذا ؟ .. لماذا تقتلنى ؟

تراجع الدكتور (فهمى) فى مقعده ، وقال فى كراهية :

ـــ لأن القدر قادك إلى هنا ، لتلقى عقابك العادل ، بعد كل هذه السنوات .

راح (خميس) يلهث طالبًا الهواء ، وأمسك صدره فى قوة ، وهو يهتف :

ـــ ليس هذا من حقك .. إنك طبيب نفسى ، ولست قاضيًا .. ليس من حقك أن تحكم بموتى ، وأن تنفذ الحكم بنفسك .

ابتسم الدكتور (فهمى) فى مرارة ، وهو يقول :

ـــ ليس من حقى ؟! .. منذ متى تهتم بالحقوق والواجبات أيها القاتل الحقير ؟

ثم مال نحوه فى حركة حادة ، مستطردًا :

ـــ هل تحب أن تعرف السبب الحقيقى ، الذى دفعنى لقتلك ؟

لم يجب (خميس) ، فقد كان يحدّق فى وجه الطبيب بعينين جاحظتين ، والألم يعتصر صدره ، وعلى الرغم من هذا ، فقد حكّ الدكتور (فهمى) طابع الحسن فى منتصف ذقنه ، ورفع أصابعه يداعب شعره الأحمر ، قبل أن يقول بكل مقت الدنيا :

ــ لأن ذلك الصبى ، الذى قتلته بلا رحمة ، منذ عشر سنوات ، كان ابنى يا رجل .. ابنى الوحيد .

وجحظت عينا (خميس) أكثر ..

وأطلق شهقة قوية ..

وأخيرة .

* * *

العقرب

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص..
عندما تحيط العدالة عينيها بعصابة سميكة..
حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..
عندئذ يهب هو للقتال، حاملا ذلك الاسم، الذى يثير الرجفة فى قلوب أعتى المجرمين..
اسم (العقرب).

د. نبيل فاروق

ملخص ما سبق نشره

حاول المهندس الجيولوجى (فهمى صابر) تحذير اللواء (حلمى) من عصابة ، تسيطر على واحدة من شركات البترول المصرية ، ولكن اللواء (حلمى) تصوَّر أنه مصاب بمرض نفسى ، وتجاهل التحذير ، حتى لقى المهندس مصرعه على نحو مريب ، وهنا طلب اللواء (حلمى) معاونة (نديم) ؛ لكشف الأمر ، وانطلق (نديم) فى شخصية (العقرب) ؛ لبحث الأمر ، ومراقبة العصابة ، المكوَّنة من المديرين الخمسة (عماد) ، و (رضوان) ، و (جمال) ، و (أشرف) ، وعلى رأسهم رئيس مجلس الإدارة (كامل شكرى) ..

وبدأت الحرب الخفية ..

وحاول أفراد العصابة القضاء على (العقرب) ، ولفقوا له جريمة قتل ، أثارت العقيد (مجدى) ، فراح يبذل أقصى جهده بدوره ؛ للإيقاع بـ (نديم فوزى) ، دون أن يدرك أنه بهذا يفسد عمل (العقرب) ، ومحاولاته لكشف العصابة ..

وهاجم (العقرب) (رضوان) فى فيلته ، ونجح فى الوصول إليه ، على الرغم من حارسيه ، ولكن تدخل زوجة (رضوان) أفسد الأمر ، وجعل الحارسين يحاصران (العقرب) فى حديقة الفيلا ، ويصيبانه فى ساقه ، وكادا يوقعان به ، وينزعان قناعه ، لولا وصول (غادة) فى اللحظة المناسبة ؛ لتنقذه من بين أيديهم ، وتفرّ به من المكان ..

وفى نفس الوقت ، كانت زوجة (رضوان) قد أبلغت (كامل شكرى) بما حدث ، فأرسل رجاله خلف سيارة (غادة) و (نديم) ، وكاد الرجال يقتلون بطلينا ، لولا وصول سيارة شرطة ، دفعت الجميع للفرار ، بعد أن حصل (وجيه) ، قائد القتلة على رقم سيارة (غادة) ، وقرَّر البحث عن صاحبة السيارة ، والقضاء عليها ..

وكذلك (مجدى) ، أدرك أن إصابة (العقرب) يمكنها ان توقع بـ (نديم) أيضًا ، وتثبت أنه و (العقرب) شخصان لرجل واحد ، ولكن (نديم) و (غادة) كانا قد أعدّا للأمر عدته ، بمعاونة الدكتور (قدرى) ، الطبيب الخاص لـ (نديم) ، مما أفسد خطة (مجدى) ، وجعله ينصرف من منزل (نديم) ساخطًا محنقًا ، فى الخامسة والنصف صباحًا ..

وفى هذا الوقت ، كان أفراد العصابة قد توصلوا إلى خيط ، يشير إلى ارتباط (نديم) بشخصية (العقرب) ، فأرسلوا رجلين للقضاء عليه مع (غادة) فى مكتبهما ، ولكن بطلينا نجحا فى إنقاذ حياتهما ، وبدأت معهما مرحلة جديدة من الصراع ..

مرحلة المواجهة ..

وعندما حاول أحد أفراد العصابة ، وهو الدكتور (جمال) ار ، فوجئ بـ (العقرب) داخل سيارته ، وطاردته سيارة أخرى ، وحدث قتال سريع ، بين (نديم) وقائدى السيارة ، بعد أن فقد (جمال) وعيه ، ولكن رجال الشرطة وصلوا ، وألقوا القبض على (نديم) ، وهو يحمل فى جيبه قناع

وألقى رجال الشرطة القبض على (نديم) ، بثيابه السوداء ، وعلى الرجلين ، وعلى (جمال) أيضًا ..

وجاءت الفرصة لـ (مجدى) على طبق من ذهب ..

وبأسرع ما يمكنه ، وصل (مجدى) بصحبة الرائد (حسن) إلى قسم الشرطة ، (نديم) وجهًا لوجه ..

وقرر (مجدى) أن يخرج من جيب (نديم) قناع (العقرب) وقفازيه وبطاقته ، فى حضور الضابط النوبتجى والرائد (حسن) ، وكان يعلم أن إخراجها فى حضور شاهدين ، سيعنى أن النهاية قد حانت ..

نهاية العقرب(*)

° ° °

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأوّل والثانى ، فى كتاب (كوكتيل ٢٠٠٠) ، رقم (١١) « ثمن الصداقة » ، و (١٢) « العنقاء » .

١ ـــ المواجهة ..

لم يكد رنين الهاتف يرتفع ، فى ردهة فيلا الدكتور (جمال) ، حتى قفز (كامل شكرى) إلى الهاتف ، وانتزع سمّاعته ، قائلًا فى انفعال واضح

ـــ من المتحدّث ؟

كان من الواضح أنه يستمع إلى من كان ينتظره ، فقد اعتدل جسده ، وأمسكت أصابعه السمّاعة فى قوة ، وهو يقول :

ـــ نعم .. هو أنا .. لماذا لم تصل حتى الآن يا (وجيه) .

انعقد حاجباه فى قوة ، نبض لها قلب زوجة (جمال) بسرعة كبيرة ، وكادت أصابعه تعتصر سمّاعة الهاتف ، وهو يصرخ :

ـــ الشرطة ؟! .. وكيف تدخّلت الشرطة ؟

تقافز الغضب فى كل خلجة من خلجاته ، وهو يواصل :

ـــ (العقرب) ؟! .. مرة أخرى (العقرب) .. من أين يأتى ذلك الشيطان ؟ .. ألم توقفه إصابة ساقه بعد ؟

استمع إلى محدّثه بضع لحظات فى صمت ، فاقتربت منه زوجة (جمال) ، فى قلق وفضول ، تسأله :

ـــ ماذا حدث يا (كامل) بك ؟! .. ماذا حدث ؟

تجاهلها تمامًا ، وهو يقول لـ (وجيه) :

ـــ لا بأس .. استمر مع رجالك فى مراقبة قسم الشرطة ، حتى يغادره (جمال) و (نديم) هذا ، ونفذ أوامرى بشأنهما ، فى الوقت المناسب .

أعاد سمَّاعة الهاتف إلى موضعها ، فعادت زوجة (جمال) تسأله فى قلق :

ــ ماذا حدث ؟

أشعل سيجاره ، ونفث دخانه فى عصبية ، قبل أن يجيبها :

ــ لقد اختبأ (العقرب) فى سيارة زوجك ؟

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تقول :

ــ عقرب ؟! .. أهو عقرب سام ؟ .. هل لدغ (جمال) ؟

انعقد حاجباه فى ضيق ، وتذكَّر أنها لا تعلم شيئًا عن (العقرب) ، فمط شفتيه فى ازدراء ، وأجابها وهو يشيح بوجهه :

ــ إنه مجرَّد مصطلح ، نطلقه على شخص يحاول عرقلة عملنا .

هتفت فى هلع :

ــ شخص ؟! .. أهو أحد رجال الشرطة ؟

أجابها فى ضيق وضجر :

ــ لا .. إنه ليس كذلك .

زفرت فى ارتياح ، وقالت :

ــ يمكننا أن نرشوه إذن .

رمقها بنظرة ضيق ، فارتبكت مستطردة :

ــ أو نقتله .

مطَّ شفتيه مرة أخرى ، وقال :

ــ دعك من هذا يا سيِّدتى .. كل ما فى الأمر أن زوجك قد تعرَّض لمخالفة بسيطة ، وسيعيده رجالنا إلى هنا ، بعد أن ينتهى من سدادها .

ثم شرد ببصره ، مستطردًا :

ــ وبعدها سيقومون بعمل آخر ، يخلِّصنا من هذا الـ ..

صمت لحظة ، ثم أضاف بكل المقت والكراهية فى أعماقه :

ــ هذا (العقرب) .

* * *

لم يكن هناك ، فى الأرض كلها ، من هو أكثر سعادة من العقيد (مجدى) ، فى هذه اللحظة بالذات ..

لقد أوقع بـ (نديم) ، وها هوذا يحتجزه داخل حجرة الضابط النوبتجى ، فى أحد أقسام الشرطة ، ويده تمتدّ لتنتزع قناع (العقرب) وبطاقته من جيب الزى الأسود ، الذى يرتديه (نديم) ، و ..

وفجأة حدث الاقتحام ..

اقتحمت (غادة) حجرة الضابط النوبتجى فى عنف ، وخلفها حارس الحجرة ، يحاول منعها فى خوف وتوتر ..

وتوقَّفت يد (مجدى) ، قبل أن تلمس جيب (نديم) ، واعتدل فى حركة حادة سريعة ، فى حين التفت الرائد (حسن) إلى (غادة) فى دهشة ، وهبَّ الضابط النوبتجى من مقعده ، هاتفًا فى غضب :

ــ ما هذا ؟ .. ما الذى يحدث هنا ؟

أجابته (غادة) فى غضب مماثل :

ــ أنا (غادة) ، المحامى الخاص للأستاذ (نديم فوزى) ، وأحب أن أحذركم من أنكم ترتكبون أكبر خطأ قانونى فى حياتكم أيها السادة .

عقد (مجدى) حاجبيه فى غضب ، فى حين هتف الضابط النوبتجى :

ــ أى خطأ هذا ؟ .. إننا نقوم بتفتيش رجل ، تم إلقاء القبض عليه ، أثناء شجار فى الطريق ، استخدم فيه أحد المتشاجرين مسدسًا .

كان حارس الحجرة قد توقف فى قلق ، منتظرًا أوامر الضابط ، بشأن تلك التى اقتحمت الحجرة ، فأشار إليه الضابط بالانصراف ، و (غادة) تعقد ساعديها أمام صدرها ، قائلة :

ــ ولكنكم ألقيتم القبض على ذلك الذى استخدم المسدس ، وحصلتم على مسدسه بالفعل . ومن حقكم استجواب (نديم) ، ولكن ليس من حقكم تفتيشه .

التفت إليها (مجدى) بكيانه كله ، وقال فى حدة :

ــ أخطأت أيتها الساذجة ، فقانون الطوارئ يبيح لى حق تفتيش أى مواطن ، فى أية لحظة من لحظات الليل أو النهار ، لمجرد الاشتباه .

ابتسمت فى ثقة ، قائلة :

ــ ليس إذا كانت بينك وبينه خصومة شخصية .

قال فى عصبية :

ــ أية خصومة شخصية ، إنه مجرد متهم ، أو مشتبه فيه ، و ..

قاطعته فى صرامة :

ــ وماذا ؟ .. كان المفروض أن يستجوبه الضابط النوبتجى ، أو حتى يقوم بتفتيشه ، ولكن إيقاظك من نومك ، وحضورك العاجل إلى قسم شرطة لايخصك ، ومحاولتك تفتيش المشتبه فيه بنفسك ، كلها عوامل تؤيد

وجود خصومة شخصية بينك وبينه ، خاصة عندما نضيف إلى هذا صراعك الشخصى معه ، عندما كان يعمل فى الشرطة .

هتف الضابط النوبتجى فى دهشة :

ــ فى الشرطة ؟! .. هل كان السيد (نديم) زميلًا لنا فيما مضى ؟

أجابته فى سخرية :

ــ أتعنى أن العقيد (مجدى) لم يخبرك بهذا ؟

لم يجب الضابط ، وإنما رمق (مجدى) بنظرة ضيق صامتة ، جعلت (مجدى) يقول فى حدة عصبية :

ــ فليكن أيتها الأفعى القانونية ، سأتجاهل كل ماسمعته منك الآن ، وسأقوم بتفتيش (نديم) ، و ..

قاطعته فى سخرية :

ــ فليكن .. تجاهل ما يحلو لك ، ولكن لتعلم أوّلًا أننى لم أكتف بالقدوم إلى هنا .. لقد أبرقت بالأمر إلى وزير الداخلية ، وإلى اللواء (حلمى) ، ورئيس الجمهورية ، و ..

راحت تعدّد الجهات الرسمية ، التى أبرقت إليها بالأمر ، حتى شحب وجه الضابط النوبتجى ، وهو يقول :

ــ ولكن لماذا كل هذا ؟ .. إننا نتبع القانون ، ولن نتجاوزه قط ..

لم يكن (نديم) قد نطق كلمة واحدة ، منذ اقتحمت (غادة) الحجرة ، وكان يكتفى بمراقبتها فى هدوء كعادته ، ولكنه خالف هذه القاعدة ، وقال فى هدوء شديد ، عند هذه النقطة :

ــ وأنا كذلك أسعى لتحقيق العدالة أيها الزميل .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وعقدت (غادة) حاجبيها فى قلق للعبارة ، فى حين هتف (مجدى) فى لهفة :

ــ أيعنى هذا أنك ستدلى باعترافك ؟

سأله (نديم) فى هدوء :

ــ أى اعتراف ؟

أجابه فى انفعال :

ــ الاعتراف بأنك (العقرب) .

خُيِّل لـ (غادة) أنها قد لمحت شبح ابتسامة ، على جانب شفتى (نديم) ، وهو يقول :

ــ هذا اعتراف جيِّد منك ، بأن (العقرب) يسعى لتحقيق العدالة ، يا عزيزى (مجدى) ، ولكن ما أقصده لم يكن الاعتراف ، وإنما التعاون .

قال (مجدى) فى حذر :

ــ التعاون ؟!

أجابه (نديم) فى هدوء :

ــ نعم يا عزيزى (مجدى) .. التعاون .. سأسمح لكم بتفتيشى ، حتى لو كان هذا مخالفًا للقانون .

هتفت (غادة) فى دهشة :

ــ (نديم) ؟!

ولكنه قال فى حزم :

ــ إننى أعلم ما أفعل يا (غادة)

وواجه (مجدى) ، مستطردًا :

ــ هيا يا (مجدى) .. قم بتفتيشى .

تردَّد (مجدى) لحظة ، أمام هذا التحدى المباشر ، ثم لم يلبث أن انقضَّ على جيب (نديم) ، قائلًا :

ــ نعم .. سأفعل .. لقد وافق أمامكم .. أليس كذلك ؟

ولكن الجيب كان خاليًا ..

كل جيوب (نديم) كانت كذلك ..

وفى دهشة وحنق ، هتف (مجدى) :

ــ أين القناع إذن ؟

أجابته (غادة) فى سخرية :

ــ فى عقلك وحده أيها العقيد .

مضت لحظة ثقيلة من الصمت ، و (مجدى) يحدّق فى وجه (نديم) الجامد فى توتر بالغ ، قبل أن يقول (مجدى) فى غضب ثائر :

ــ أين أخفيته ؟

سأله (نديم) فى برود :

ــ ما هذا الذى تعنيه ؟

انقضّ (مجدى) على (نديم) ، وجذبه من قميصه فى عنف ، وهو يصرخ فى وجهه :

ــ اسمع يا (نديم) .. إننى لن أسمح لك بـ ..

قاطعته (غادة) فى غضب :

ــ إنك تتجاوز حقوقك القانونية يا (مجدى) .

أما الضابط النوبتجى ، فقد قال فى توتر :

ــ معذرة يا سيادة العقيد ، ولكننى لن أقبل حدوث تجاوزات فى القسم ، فى فترة نوبتجيتى .

كاد الغضب ينفجر من وجه (مجدى) . أمام كل هذه الضغوط ، وشعر الرائد (حسن) أنه من الممكن أن يورّط (مجدى) نفسه فى مشاكل قانونية عسيرة ، فقال فى قلق ، وهو يربّت على كتفه :

ــ لا بأس يا سيادة العقيد .. دعنا ننصرف الآن ، و ..

قاطعه (مجدى) فى صرامة :

ــ لا .. ليس الآن .

ثم دفع (نديم) عنه ، والتفت إلى الضابط النوبتجى ، يسأله :

ــ هل استجوبته ؟

أجابه الضابط :

ــ نعم .. ولقد قال إنه كان يسير وحده فى الطريق ، عندما شاهد سيارة تهاجم أخرى ، ويحاول رجلان من السيارة الأولى قتل رجل فاقد الوعى ، أصيب من ارتطام السيارة الثانية بجدار على جانب الطريق ، فتدخل محاولًا إنقاذ الرجل .

سأله (مجدى) :

ــ ومن هذا الفاقد الوعى ؟

أجابه الضابط :

ــ لقد استعاد وعيه ، ولكنه متوتر الأعصاب بشدة ، يطالبنا طيلة الوقت بتركه ، ويؤكّد فى كل لحظة أنه لن يتقدم بشكوى ضد أحد ، و ..

قاطعه (مجدى) فى حدة :

ــ سألتك من هو ؟

لم يرق هذا الأسلوب للضابط النوبتجى ، ولكنه أجاب فى ضيق :

ــ إنه الدكتور (جمال) .. صاحب المستشفى الخاص ، والمدير العلمى والفنى لشركة (.....) للبترول ، و ..

هتف به (مجدى) مقاطعًا :

ــ شركة البترول .

ثم التفت إلى (نديم) ، وقال فى صرامة :

ــ لماذا هذه الشركة بالذات ؟

سأله (نديم) فى هدوء :

ــ ماذا تقصد ؟

أجابه فى حدة :

ــ أقصد أن (العقرب) قد هاجم اثنين ، من مديرى شركة البترول نفسها ، فى يومين متتاليين . فما الذى يسعى إليه ، بشأن هذه الشركة بالذات ؟

هزّ (نديم) كتفيه ، وقال فى برود :

ــ يمكنك أن تسأله .

مضت لحظات ، وكلاهما يواجه الآخر بنظرات نارية متحدية ، قبل أن يقول (مجدى) فى صرامة :

ــ فليكن يا (نديم) .. سنعكس اللعبة . وسأعمل بنفسى على إطلاق سراحك هذه المرة ، ولكن فلتعلم أننى قد أمسكت طرف الخيط ، وعرفت ما الذى يسعى إليه (العقرب) هذه المرة .. أو على الأقل أين يسعى ، وسأضيق عليه الخناق ، حتى أوقع به متلبسًا ، وعندئذ سأفعل ما أتمناه منذ زمن .

وأطبق قبضته ، مستطردًا فى غضب :

ــ سأسحقه .

وكان يعنى ما يقول .

☼ ☼ ☼

٢ ــ المجرمون ..

مرة أخرى قفز (كامل شكرى) يلتقط سمّاعة الهاتف ، فى ردهة منزل الدكتور (جمال) ، ويضعها على أذنه ، هاتفًا :

ــ من المتحدّث ؟

انعقد حاجباه كالمعتاد ، وهو يستمع إلى محدّثه فى صمت ، قبل أن يقول :

ــ حسنًا .. اترك أحد الرجال لمراقبة القسم ، وانطلق بنفسك خلف المحامى والفتاة .

قالها وأعاد السمّاعة إلى موضعها فى عنف ، وعاد ينفث دخان سيجاره فى توتر وعصبية ، فاقتربت منه زوجة (جمال) ، وهى تفرك كفيها فى عصبية ، قائلة :

ــ ماذا حدث ؟ .. هل (جمال) بخير ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

ــ ما زالوا يحتجزونه فى القسم ، وأنا أجهل لماذا ، ولكنهم أفرجوا عن (العقرب) وزميلته ، و ..

قاطعته فى انزعاج :

ــ هل أطلقوا سراح (العقرب) ؟!

زفر فى حنق ، وهو يدرك جهلها بما تقول ، فى حين استطردت هى :

ــ ألا يعرّضنا هذا للخطر ؟! .. أليس من الأفضل أن ..

قاطعها هو هذه المرة ، وهو يتجه نحو الباب ، قائلًا فى صرامة :

ــ انتظرى عودة زوجك يا سيِّدتى ، وأبلغينى هاتفيًا فور عودته .

هتفت به :

ــ وماذا لو حاول الفرار مرة أخرى ؟

أجابها فى غلظة :

ــ فليذهب إلى الجحيم .

وغادر الفيلا فى عصبية بالغة ، تاركًا الزوجة خلفه فى حيرة ، وصفق الباب فى عنف ، ثم دلف إلى سيارته ، وهو يقول لسائقه فى حدة :

ــ هيا .. دعنا ننصرف من هذا المكان اللعين .. هيا ..

انطلق السائق بالسيارة فى صمت ، فى حين راح (كامل) ينفث دخان سيجاره فى قوة ، وفى أعماقه يدور سؤال مخيف متكرِّر ..

لماذا احتجزوا (جمال) ، وأطلقوا سراح (نديم) و (غادة) ؟ ..

لماذا ؟ ..

* * *

« أريد أن أعرف لماذا ؟ .. »

نطق (جمال) هذه الجملة فى عصبية بالغة ، وهو يتطلَّع إلى وجه (مجدى) ، الذى بدا له صارمًا غاضبًا ، وهو يجيب سؤاله فى خشونة مخيفة :

ــ لأننى أحتاج إلى استجوابك يا دكتور (جمال) .. ألا يبدو لك هذا جوابًا كافيًا ، لسؤالك الخاص باحتجازك هنا ؟

قال (جمال) فى عصبية :

ــ ولماذا تستجوبنى ؟ .. إننى المجنى عليه ، ولست الجانى !! ..

أجابه (مجدى) بنفس الخشونة :

ــ أريد أن أعرف لماذا حاول الرجلان قتلك ؟

ثم مال نحوه بغتة ، مضيفًا :

ــ ولماذا يطاردك (العقرب) ؟

شحب وجه (جمال) فى شدة ، ولم يغب شحوبه عن عينى (مجدى) ، الذى يراقب ردود أفعاله فى اهتمام وخبرة ، قبل أن يتمتم (جمال) فى توتر :

ــ من (العقرب) هذا ؟

ابتسامة (مجدى) امتلأت بالظفر هذه المرة ، وتراجع بمقعده ، وهو يقول :

ــ عجبًا ! .. ومن أخبرك أن (العقرب) هذا اسم لشخص ، وليس مجرَّد عقرب حقيقى ؟

ارتبك (جمال) فى شدة ، وهو يقول :

ــ ماذا تعنى ؟

مال (مجدى) نحوه مرة أخرى فى حدة ، على نحو أفزع (جمال) ، وجعله يتراجع بوجهه فى توتر ، و (مجدى) يقول بخشونته المخيفة :

ــ أعنى أنك قد استخدمت فى سؤالك لفظ (من ؟) ، ولم تستخدم (ما ؟) ، وهذا يعنى معرفتك أن (العقرب) شخص حى .

مضت لحظة من الصمت ، ارتسم الرعب خلالها فى عينى (جمال) ،

قبل أن يقول فى عصبية :

ــ هذا لا يعنى شيئًا .. إنه مجرّد خطأ لفظى ، ولست خبيرًا باللغة العربية ، لتحاسبنى على خطأ كهذا .

رمقه (مجدى) بنظرة غاضبة ، قبل أن يتراجع ثانية ، ثم ينهض من مقعده ، ويدور حول (جمال) فى بطء ، ثم يسأله من خلف ظهره بغتة :

ــ ماذا يحدث فى شركة البترول يا دكتور (جمال) ؟

أدرك أنه قد أصاب هدفه مباشرة ، عندما ارتجف جسد (جمال) فى شدة ، وكاد يسقط عن مقعده ، لولا أن تشبث به فى قوة ، وترنح لحظة ، ثم أجاب فى صوت متحشرج مختنق ، يشفّ عن انفعال جارف :

ــ ماذا تعنى بسؤالك هذا ؟ .. كل شىء فى الشركة يسير على ما يرام .. لقد تأكّد الجهاز المركزى للمحاسبات من هذا ، وراجع بنفسه كل الأوراق ، و ..

قاطعه (مجدى) فى صرامة :

ــ وماذا عن الأمور الأخرى ، التى لم يكشف الجهاز المركزى للمحاسبات أمرها ؟

صاح (جمال) فى حدة :

ــ أية أمور أخرى ؟ .. هل تتهمنى بأشياء محدودة أيها العقيد ؟ .. أظن من حقى استدعاء محامى الشركة ، فى هذه الحالة .

اعتدل (مجدى) ، وقال فى حنق واجد :

ــ لا .. لست أتهمك بشىء يا دكتور (مجدى) .. لقد تم استجوابك ، ويمكنك الانصراف إلى منزلك الآن .

هبّ (جمال) من مقعده ، وهو يهتف فى عصبية :

ــ بالطبع .. سأرحل على الفور .

واندفع مغادرًا الحجرة ، خشية أن يتراجع (مجدى) فى قوله ، فأشار (حسن) إلى الباب ، الذى صفقه (جمال) خلفه ، وقال :

ــ هل أرسل خلفه من يراقبه ؟

هزّ (مجدى) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا .. من الواضح أن هذا لن يفيدنا كثيرًا .

وصمت لحظة مفكرًا ، قبل أن يضيف :

ــ ولكننى سأبدأ فى مراجعة ملف شركة البترول هذه ، بحثًا عما يسعى (العقرب) خلفه ، وبهذه الطريقة قد يمكننا ضبط مخالفة قانونية رهيبة ، و ..

صمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى سخط :

ــ والإيقاع بـ (العقرب) ، فى الوقت نفسه ..

* * *

أطلقت (غادة) ضحكة مرحة ، وهى تقود السيارة ، وإلى جوارها يجلس (نديم) فى استرخاء ، وهتفت فى إعجاب :

ــ يالها من فكرة بسيطة وذكية يا (نديم) ! .. كيف خطرت ببالك فى القسم ؟

أجابها فى تراخ ، وهو يريح رأسه على المسند الخلفى لمقعده :

ــ كان الأمر أبسط مما تتصورين ، فلقد لاحظت ذلك التجويف .

المختفى بين النافذة وإطارها ، وتظاهرت بالاستناد إلى الإطار ، ووضعت القناع والبطاقات داخل التجويف ، وبعدها كان من السهل استعادتهما عند انصرافنا .

سألته ضاحكة :

ــ أكنت تعلم أنهم سيقومون بتفتيشك ؟

هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ــ كان هذا احتمالًا واردًا بالطبع .

عادت تسأله فى مرح :

ــ ألم تخش أن يعثر عليها أحد ؟

أجابها فى هدوء :

ــ لا .. لم أخش هذا ، فالقناع أسود اللون ، ولقد أحطت البطاقات به ، ووضعته فى تجويف مظلم ، لا يمكن أن ينتبه إليه سواى .

هزَّت رأسها فى إعجاب ، واختلست نظرة إليه ، قبل أن تقول فى هيام :

ــ هذا هو (نديم) الذى أعرفه ، هادئ ، وذكى ، ودقيق .

كانت واثقة بأنه قد انتبه إلى رنة الحب فى قولها ، على الرغم من صمته ، وتجاهله التام لهذا ، وإسباله جفنيه ، فأضافت فى لهجة شبه رسمية :

ــ والآن .. ماذا تقترح ، بعد أن فشلت فى معرفة السر من (جمال) ؟

تطلَّع إلى ساعته ، وقال :

ــ أقترح أن نحاول الاستفادة بالساعات الثلاث الباقية ، قبل مطلع الشمس .

سألته فى اهتمام :

ــ كيف ؟

أجابها فى هدوء :

ــ نزور (أشرف) فى منزله مثلًا .. إنه يقيم بالقرب من هنا ، فى الطابق الأخير من بناية ضخمة .

سألته فى قلق :

ــ ألا ترى معى أنها مخاطرة كبيرة ؟ .. لقد تركنا (مجدى) منذ قليل ، و ..

قاطعها فى هدوء :

ــ هذا بالضبط هو الذى دفعنى إلى الاقتراح ؛ فلن يتوقَّع (مجدى) أو أفراد العصابة البترولية أن نضرب ضربتنا الثانية بهذه السرعة ، وفى مثل هذه الظروف .

تطلَّعت إلى مرآة سيارتها ، وقالت :

ــ أخالفك القول هذه المرة ، فمن المؤكَّد أن (مجدى) قد أرسل رجاله خلفنا ، وإلا فكيف تفسِّر وجود هذه السيارة ، التى تطاردنا ، منذ مغادرتنا قسم الشرطة .

انعقد حاجباه ، واعتدل فى حركة مفاجئة ، ثم أمسك مرآة السيارة ، وأمالها لتلائم موقعه ، وألقى نظرة طويلة على السيارة الكبيرة ، التى تتبع سيارة (غادة) ، قبل أن يعيد المرآة إلى موضعها ، قائلًا :

ــ إنه ليس (مجدى) .

ألقت نظرة سريعة على المرآة ، وقالت فى قلق :

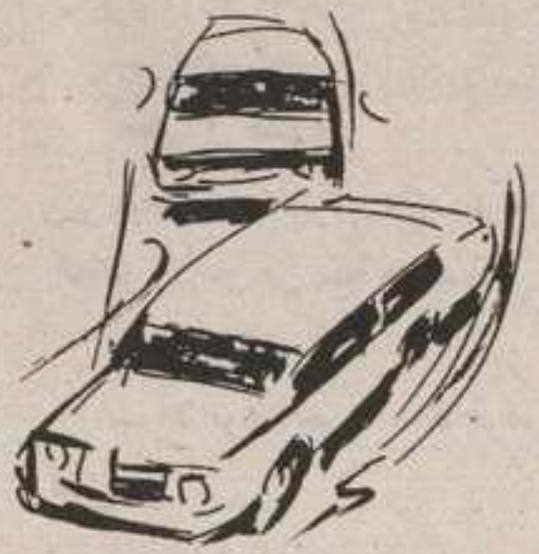

ـ ماذا تعنى بأنه ليس (مجدى) ؟ .. أتقصد أن هؤلاء الذين يتبعوننا ، ليسوا من رجال الشرطة .

أجابها فى هدوء :

ـ بالطبع .

كادت تهتف به :

ـ كيف عرفت ؟

ولكنه وفَّر عليها إلقاء السؤال ، واستطرد فى حزم :

ـ الشرطة لا تمتلك سيارات فاخرة كهذه ، ثم إنها لا ترسل أربعة رجال دفعة واحدة ، لمراقبة شخصين ، أليس كذلك ؟

أومأت برأسها موافقة فى قلق ، وغمغمت :

ـ فى هذه الحالة أظن أننا فى خطر .

أجابها فى هدوء :

ـ بالنسبة إلىَّ لست أظن هذا .

كانت السيارة قد اقتربت منهما كثيرًا ، عندما أضاف :

ـ أنا واثق منه .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفعت السيارة إلى جوارهما ، وانحرفت نحوهما انحرافًا حادًّا ..

وقاتلًا ..

* * *

٣ ـ ضربة عند الفجر ..

عندما انحرف (وجيه) بسيَّارته الضخمة ، نحو سيارة (غادة) الرياضية ، كان يلمح (غادة) وهى تقود السيارة ، وكان يتصوَّر أنه سيسحق (غادة) وسيارتها بضربة واحدة ، ثم يمضى فى طريقه ؛ ليزفَّ لـ (كامل شكرى) بشرى القضاء على خصمه اللدود ..

ولكن (غادة) خيَّبت ظن (وجيه) ..

لقد أدركت على الفور أن (وجيه) سينحرف بسيارته نحوها ، فضغطت كامح السيارة فى حزم ، وخفضت سرعة السيارة على نحو مباغت ، جعل سيارة (وجيه) تسبقها بعدة أمتار ، ثم تنحرف أمامها فى عنف ..

وفى صوت قوى ، يموج بالحماس ، قال (نديم) :

ـ حركة رائعة يا (غادة) ، والآن تعلَّقى بمؤخرة سيارتهم ، ولا تسمحى لهم بالعودة إلى جوارنا مرة أخرى .

نفذت ما طلبه منها ، وهى تقول فى قلق :

ـ ولكنهم سيطلقون نيران أسلحتهم نحونا من الخلف .

التقط حقيبتها ، وانتزع منها مسدسها الصغير ، قائلًا :

ـ ليس عندما أستعير مسدسك .

كان رجال (وجيه) يستعدون لإطلاق النار عليهما من الخلف بالفعل ، عندما أطلق هو رصاصة من مسدس (غادة) ، انفجر إثرها

الإطار الأيمن الخلفى للسيارة ، ودوى صوته كقنبلة فى الظلام ، وانحرفت سيارة (وجيه) يمينًا فى عنف ، فهتف (نديم) :

ــ انطلقى إلى يسارهم يا (غادة) .. الآن .

أطاعته دون تفكير ، وانطلقت إلى يسار سيارة (وجيه) ، الذى واجه (نديم) مباشرة ، عبر نافذتى السيارتين ، فصرخ فى غضب :

ــ لن تفلت أيها الـ ..

قاطعه (نديم) برصاصة ثانية ، أطلقها على الإطار الأمامى الأيسر للسيارة ، فاختلّ توازنها تمامًا ، وأفلتت عجلة القيادة من يد (وجيه) ، الذى صرخ :

ــ أيها الحقير .

ثم انحرفت به السيارة فى عنف ، وارتطمت بالحائط ، ثم توقّف محرّكها تمامًا ..

وضغطت (غادة) دوّاسة الوقود ، فى محاولة للابتعاد بأقصى سرعتها ، ولكنها فوجئت بـ (نديم) يهتف بها :

ــ توقّفى .

انتقلت قدمها ، فى حركة غريزية إلى كابح السيارة ، التى توقّفت بصرير مفزع ، وهتفت (غادة) :

ــ ماذا ستفعل ؟

قفز (نديم) من السيارة ، هاتفًا :

ــ أريد هذا الوغد .

اندفع فى خطوات سريعة نحو سيارة (وجيه) ، وهو يحمل مسدس (غادة) ، واقترب من السيارة فى حذر ، حتى تأكّد من أن ركابها الأربعة فاقدو الوعى ، فانتزع (وجيه) من خلف عجلة القيادة ، وقيّد معصميه خلف ظهره ، ثم حمله على كتفه ، وعاد به بسرعة إلى سيارة (غادة) ، فألقاه على أريكتها الخلفية ، وسمعها تهتف :

ــ ماذا ستفعل به ؟

أجابها وهو ينتقل إلى مقعده المجاور لها :

ــ لو صحّت ذاكرتى ، فهذا الوغد هو (وجيه سمعان) ، أحد أخطر مجرمى (مصر) ، منذ عشر سنوات .

سألته وهى تنطلق بالسيارة مبتعدة :

ــ وماذا ستفعل به ؟

أجابها فى حزم :

ــ سأستجوبه .

كان جوابه المقتضب كافيًا ، فلاذت بالصمت تمامًا ، وواصلت انطلاقها بالسيارة بعض الوقت ، ثم سألته فى توتر :

ــ أما زلت مصرًا على زيارة (أشرف) ؟

تطلّع إلى ساعته ، ثم أجاب فى هدوء :

ــ لست أظننا سنجد وقتًا أفضل من هذا .

وعاد يسترخى فى مقعده ..

* * *

كانت ليلة شديدة الملل ، بالنسبة لحارس البناية الفاخرة ، التى يقيم فيها المهندس (أشرف) ، فلقد عاد جميع سكان البناية إلى منازلهم ، فى وقت مبكّر ، وأغلق هو الأبواب قبل منتصف الليل ، ولكنه اضطرّ للبقاء مستيقظًا ، مرتديًا زيه الخاص ، الذى سلمته إياه شركة الأمن ، المسئولة عن البناية ، خشية أن يمرّ أحد مسئولى الشركة ، فى تفتيش مفاجئ ، كما حدث منذ أربعة أيام ..

ولقد خسر يومين من مرتبه فى ذلك اليوم ، بسبب عدم ارتداء السترة الرسمية ، وهو غير مستعد لخسارة يومين آخرين ..

وفى ضجر ، تثاءب الحارس للمرة العشرين ، خلال ساعة واحدة ، وراح يقلّب صفحات المجلة الفنية الحديثة بين يديه ، ويطالع صور الممثلين والممثلات فى تراخ ، حتى سمع صوتًا صارمًا يقول :

ــ اعتدل يا رجل .

ألقى الرجل مجلته ، واعتدل فى سرعة ، والتفت إلى ذلك الرجل الصارم ، صاحب الشارب الأشيب الكث ، الذى يرتدى سترة خاصة ، تحمل شعار شركة الأمن ، والذى قال مستطردًا :

ــ أتحرس البناية ، أم تطالع المجلات الفنية ؟

ارتبك الحارس ، وقال :

ــ إنها وسيلة لتمضية الوقت فحسب يا سيِّدى ، ولكننى لم أغادر موقعى كما رأيت .

سأله الرجل :

ــ وماذا عن الطوابق العلوية ؟

ازدرد الحارس لعابه ، وقال :

ــ لن يصلها أى مخلوق ، مادمت أحرس المدخل يا سيّدى .

مطّ الرجل شفتيه ، وكأنما لم يرق له الجواب ، ثم أزاح الحارس من أمامه ، وقال فى صرامة :

ــ افتح البوّابة .

أسرع الحارس يفتح البوّابة الأمامية ، فعبرها الرجل فى هدوء ، ثم التفت إليه ، قائلًا فى صرامة :

ــ عد إلى عملك .

أجابه الحارس فى توتر :

ــ بالطبع يا سيّدى .. بالطبع .

أغلق البوّابة خلفه ، وراقبه فى قلق ، حتى أغلق المصعد خلفه ، ثم تنهّد فى عمق ، وقال :

ــ حمدًا لله .. كنت منتبهًا ومتيقظًا هذه المرة .

وعاد يطالع المجلة فى حذر ، وهو يختلس النظر إلى المصعد ، فى انتظار عودة مفتش الشركة ، الذى استقلّ المصعد إلى الطابق الأخير ، وهناك نزع شاربه الكثّ المستعار ، ووضع على عينيه قناع (العقرب) ، وارتدى قفازيه ..

وبدأ العمل ..

وفى هدوء ودقة ، راح يعالج رتاج باب شقة (أشرف) الفاخرة ، حتى استجاب له الرتاج ، وانفتح فى صمت ، فدفع الباب ، ودلف إلى الشقة ، وأغلقه خلفه فى حرص ..

كانت أمامه ردهة واسعة ، شديدة الفخامة ، تجمع بين الثراء والأناقة ، وحسن الذوق ، وتزدان جدرانها بلوحات جميلة ثمينة ، يحمل بعضها توقيع مشاهير الفنانين المصريين ، مما جعل (نديم) يتمتم :

ــ لو أن الشقة كلها بهذه الصورة ، فثمنها لن يقلّ عن ثلاثة ملايين على الأقل .

ثم تقدّم نحو ثلاث درجات رخامية ، تقود إلى ممر حجرات النوم ، وهو يستطرد :

ــ ولست أظن مرتب (أشرف) يبلغ هذا الحد .

كانت تمتدّ أمامه ، عبر الممر ، خمس حجرات للنوم ، ولكنه تقدّم نحو أبعدها عن الممر فى ثقة ، ودفع بابها فى حذر ..

كان يعلم ــ من تحرياته السابقة ــ أن (أشرف) يحيا وحده ، ويخدمه خمسة من الخدم ، يقيم ثلاثة منهم فى نفس الشقة ، ويعود اثنان إلى منزلهما بعد انتهاء العمل ..

وكان يعرف أيضًا ، فى أية حجرة يقيم (أشرف) ..

وعبر الحجرة الواسعة الفاخرة ، رأى فراش (أشرف) الوثير ، وهذا الأخير يرقد فيه نائمًا ، فدلف إلى الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، واتجه إلى الفراش على أطراف أصابعه ..

وفجأة سطعت الأضواء فى الحجرة ، وارتفع معها صوت صارم ، يقول :

ــ هل أخطأت طريقك يا صاح ؟

التفت (العقرب) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى (أشرف)

فى ركن الحجرة ، يصوِّب إليه مسدسًا ضخمًا ، فى حين نهض أحد رجاله من الفراش ، وصوَّب بدوره مسدسًا آخر إلى (العقرب) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ لقد وقعت هذه المرة يا (زورو) .

وأطبق الفخَّ فكيه ..

* * *

تطلَّعت (غادة) إلى ساعتها فى قلق ، وهى تغمغم لنفسها :

ــ ترى كم يستغرق بلوغ الطابق العلوى ، والإيقاع بـ (أشرف) هذا ؟

لم تكد تتم عبارتها ، حتى سمعت آهة ألم ، انطلقت من بين شفتى (وجيه) ، فالتفتت إليه فى حركة حادة ، ورأته يعتدل جالسًا ، على الأريكة الخلفية للسيارة ، ويحاول التملص من قيود معصميه فى عصبية ، قبل أن يتطلَّع إليها ، قائلًا فى حدة :

ــ ماذا فعلتِ بى ؟

أجابته فى سخرية :

ــ كما ترى يا ملك اللصوص .. لقد فقدت الوعى ، واستيقظت لتجد نفسك مقيَّد المعصمين فى سيارتى ، فما رأيك ؟

قال فى عصبية :

ــ رأيى أنك ستدفعين ثمن هذا غاليًا .

أطلقت ضحكة ساخرة قصيرة ، وهى تقول :

ــ كيف ؟ .. بالعملة المحلية أم الصعبة ؟

قال فى غلظة :

ــ ما رأيك لو أطلقت صرخات عالية ، جذبت رجال الشرطة إلى هنا ؟ .. كيف ستفسرين لهم وجودى داخل سيارتك مقيَّد المعصمين ؟

قالت فى برود :

ــ أشكر لك تحذيرى .

وفجأة ، وقبل أن ينتبه إلى ما ستفعله ، هوت قبضتها على جبهته . فدار رأسه فى ألم ، وهمَّ بإطلاق سباب ساخط ، لولا أن أحاط منديل كبير بشفتيه ، وشعر بيد (غادة) تعقده فى إحكام خلف رأسه ، وهى تقول ساخرة :

ــ كان يمكنك أن تفعل هذا بالطبع .. سابقًا .

راح يضرب المقعد بقدميه فى سخط ، فرمقته بنظرة صارمة ، وهى تقول :

ــ اسمع .. لو لم تتوقَّف عن هذه الحركات الصبيانية ، فسأبتر قدميك دون تردد .. هل تفهم ؟

كانت تتحدَّث بصرامة مخيفة ، حتى أنه توقَّف عن ضرب المقعد بقدميه بالفعل ، وتطلَّع إليها فى قلق ، فابتسمت قائلة فى سخرية :

ــ حسنًا فعلت .. إننى أحب الصبية المطيعين .

وتطلَّعت إلى ساعتها ، مستطردة :

ــ على الأقل حتى يعود الصبية الأخيار .

واكتسى صوتها بقلق وخوف مفاجئين ، وهى تضيف :

ــ هذا إذًا عادوا ..

* * *

كان الموقف دقيقًا بالفعل ..

لقد سقط (العقرب) فى فخ حقيقى ..

فخ أعدّه له أحد أفراد العصابة ، وسقط هو فيه كفرّ ساذج ..

ولكن عقله ــ بطبيعته ــ كان يرفض فكرة الاستسلام ، وفكرة الخسارة ؛ لذا فقد عقد ساعديه أمام صدره فى هدوء ، وقال محاولًا تغيير نبرات صوته بقدر الإمكان :

ــ إذن فقد كنتم تتوقعون حضورى .

أجابه (أشرف) فى صرامة :

ــ كنت أعلم أنك ستهاجمنى لا محالة ، ما دمت قد هاجمت (رضوان) ، وكنت أنتظرك منذ ذلك الحين .

قال (العقرب) فى هدوء :

ــ تفكير ممتاز أيها المهندس .. ترى أهو نفس الأسلوب ، الذى اتبعته ، فى سرقة البترول ؟

ابتسم (أشرف) فى سخرية ، وقال :

ــ لن يمكنك أبدًا التوصّل إلى الأسلوب العبقرى ، الذى نحصل به على البترول .

هزّ (العقرب) كتفيه ، وقال :

ــ من المؤكّد أنه أسلوب عبقرى ، مادام الجميع قد فشلوا فى كشفه ، طوال هذه الفترة .

بدت علامات الزهو على وجه (أشرف) ، وهو يقول :

ــ إنه كذلك بالفعل .

شعر الرجل الآخر بالضجر ، فسأل (أشرف) فى قلق :

ــ هل نقتله ؟

أجابه (أشرف) فى حزم :

ــ ليس قبل استشارة (كامل) بك يا (شندى) .

قال (العقرب) فى هدوء :

ــ إذن فـ (كامل شكرى) هو زعيم العصابة .

عقد (أشرف) حاجبيه فى حدة ، وهو يقول :

ــ زعيم العصابة ؟! .. ياله من لفظ سخيف !

هزّ (العقرب) كتفيه مرة أخرى ، وقال :

ــ ولكنها الحقيقة .. أليس كذلك ؟

وهنا قال (شندى) فى توتر :

ــ هل نخلع قناعه هذا إذن ؟

رفع (أشرف) كتفيه ، وقال :

ــ فكرة رائعة .

ثم أشار إلى (شندى) مستطردًا :

ــ هيا .. انزع قناعه .

وفى جذل عجيب ، اتجه (شندى) نحو (العقرب) ، وهو يصوّب إليه مسدسه ، ليخلع عنه قناعه الأسود ..

وعاد الخطر .

* * *

٤ ـ العصابة ..

ارتجف (الدكتور) (جمال) فى شدة ، وهو يقف أمام (كامل شكرى) ، قبل ساعة واحدة من شروق الشمس ، وأخذ (كامل) يتفحصه بنظراته الصارمة الصامتة ، حتى كادت أعصاب (جمال) تنهار ، وهو يقول فى عصبية :

ـ نعم .. لقد حاولت الفرار .. كلنا ينبغى أن نفعل هذا .. لماذا نبقى ؟ .. لقد جمعنا ما يكفى من الأموال ، ولدينا الملايين فى بنوك (سويسرا) ، فلماذا لانغادر البلاد فى اللحظة المناسبة ، ونتمتع بأموالنا فى الخارج ؟

أجابه (كامل) فى صرامة :

ـ لأنك غبى .

تراجع (جمال) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ غبى ؟!

اعتدل (كامل) ، وهتف به فى غضب :

ـ نعم يا (جمال) .. لأنك غبى .. ينبغى أن تعلم أن لعبتنا لا يمكنها أن تنتهى بهذا الأسلوب ، فلو غادر أحدنا موقعه ، دون الاتفاق مع الآخرين ، فسيعنى هذا أن يحتلّ شخص آخر هذا الموقع ، مما يعرّضنا جميعًا لانكشاف أمرنا ، وسقوطنا ، وهذا يعنى أن ما فعلته يعدّ خيانة يا (جمال) .. خيانة تستحق الموت ..

شحب وجه (جمال) ، وانكمش هاتفًا فى رعب :

ـ لا .. لا يا (كامل) بك .. أرجوك .

وابتسم (بكرى) فى تشفٍّ ، وهو يجذب مشط مسدسه ، قائلًا :

ـ هل تأمرنى بهذا يا (كامل) بك ؟

انهار (جمال) تمامًا ، وسقط عند قدمى (كامل) ، وراح يقبلهما فى رعب ، هاتفًا :

ـ الرحمة يا (كامل) بك .. الرحمة .

سأله (كامل) فى برود :

ـ أتعتقد أنك تستحق الرحمة يا (جمال) ؟

انهمرت دموع (جمال) فى مرارة ، وهو يقول :

ـ كنت خائفًا يا (كامل) بك .. كنت خائفًا .

وعاد (بكرى) يكرّر :

ـ هل أنفذ الأمر ؟

ولكن (كامل) أشار إليه بالصمت ، وقال لـ (جمال) فى ازدراء :

ـ حسنًا يا (جمال) .. لن أقتلك .

انهمرت دموع (جمال) أكثر ، وهو يبلّل بهما حذاء (كامل) ، قائلًا :

ـ أشكرك يا (كامل) بك .. أشكرك كثيرًا .

دفعه (كامل) بقدمه فى ازدراء ، والتفت إلى (بكرى) ، قائلًا :

ـ أعد مسدسك إلى غمده يا (بكرى) .

مطّ (بكرى) شفتيه فى أسف ، وأعاد مسدسه إلى غمده ، فى حين انتحى (جمال) ركنًا ، وراح يبكى فى مرارة ، و (كامل) يسأل (بكرى) :

ـ ألم يعد (وجيه) بعد ، أو يتصل هاتفيًا ؟

هزّ (بكرى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا .. ليس بعد .

نفث (كامل) دخان سيجارته فى عصبية ، وقال :

ـ لماذا تبدو هذه الليلة ، وكأنها بلا نهاية ؟

وكان على حق ..

إن أحداث الليلة لم تنته بعد ..

ولا أحد يعلم متى ستفعل ..

* * *

فى اللحظات التى اتجه فيها (شندى) نحو (العقرب) ، كان هذا الأخير يلقى على نفسه سؤالًا محدودًا ..

لماذا كثر تعرّضه لنزع قناعه هذه المرة ؟ ..

ولأن عقله اعتاد الدقة والهدوء ، فقد أزاح هذا السؤال جانبًا مؤقتًا ، وعاد يركّز تفكيره على الموقف ..

إنهم سينزعون قناعه الآن ، وسيكشفون حقيقة شخصيته ..

إلا إذا ..

وفجأة ، وقبل أن تبلغ أصابع (شندى) قناعه ، قال (العقرب) فى حزم :

ـ مهلًا ياسيّد (أشرف) .. هل تعلم أوّلًا إلى أيةجهة أنتمى ؟

ابتسم (أشرف) فى سخرية ، وقال :

ـ نعم .. لقد تحرّى (كامل) بك الأمر ، وعلم ـ شخص مختلّ التفكير ، يتصوّر نفسه سيف العدالة فى الأرض ، ويواجه الجريمة وحده ، و ..

قاطعه (العقرب) فى هدوء :

ـ هذا ما يشيعه الزملاء فى الشرطة .

تجمّدت يد (شندى) قبل أن تلمس قناع (العقرب) ، فى حين انعقد حاجبا (أشرف) فى توتر ، وهو يردّد :

ـ الزملاء فى الشرطة ؟

قال (العقرب) فى هدوء :

ـ نعم يا سيّد (أشرف) .. الزملاء فى الشرطة .. لقد وقعت مع رفاقك فى نفس الفخ ، الذى وقع فيه الآخرون ، عندما انطلت عليكم خدعتنا ، وتصوّرتم أننى أعمل ضد رجال الشرطة ، ودفعك هذا إلى الإدلاء باعتراف تفصيلى أمامى ، دون حذر .

تراجع (أشرف) ، هاتفًا فى هلع :

ـ اعتراف ؟

أشار (العقرب) إلى ساعة يده ، قائلًا :

ـ نعم يا (أشرف) .. اعتراف نقله جهاز التسجيل الصغير فى ساعتى ، إلى بعض الزملاء ، فى سيارة الأجهزة المساعدة ، أسفل البناية .

ورفع ساعته ، وكأنه يدعوهما لرؤيتها ، مستطردًا فى حزم :

ـ لقد وقعت يا رجل .

مال (شندى) بحركة غريزية ، ليتطلّع إلى الساعة ، وكذلك اقترب منها (أشرف) ..

وهنا تحرَّك (العقرب) ..

تراجعت قبضته فى حركة مباغتة ، لترتطم بأنف (شندى) كالقنبلة ، وتدفعه إلى الخلف فى عنف ، ثم قفزت قدم تركل المسدس من يد (أشرف) ، الذى صرخ :

ــ إنها خدعة .

ودون أن يضيع (العقرب) لحظة واحدة ، انقضّ مرة أخرى على (شندى) ، وكال له لكمة عنيفة فى معدته ، وثانية فى أسنانه ، سقط لها الرجل فاقد الوعى ..

واندفع (أشرف) يحاول استعادة مسدسه ، ولكن (العقرب) قفز نحوه مرة ثانية ، وركل المسدس بعيدًا ، ثم أمسك معصم (أشرف) ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى قوة ، جعلت هذا الأخير يصرخ فى ألم :

ــ إنك ستكسر ذراعى .

أجابه (العقرب) فى صرامة :

ــ صدقت .. إننى سأفعل حتمًا ، لو لم تخبرنى بالوسيلة ، التى تختلسون بها البترول .

هتف (أشرف) فى ألم :

ــ إنها فكرة (كامل) .. أقسم لك إنها فكرته .. هو الذى أقنعنا جميعًا بها .

شدَّد (العقرب) ضغطه على ذراع (أشرف) ، وهو يسأله :

ــ وما هى هذه الفكرة ؟

أجابه (أشرف) ، وهو يتأوَّه ألمًا :

ـــ إنه فارق أسعار الـ ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، اندفع خدم (أشرف) الثلاثة داخل الحجرة ، وهتف أحدهم فى ذعر :

ـــ ما هذا ؟ .. من أنت ؟

وصرخ (أشرف) :

ـــ هاجموه يا رجال .. انقذونى من هذا اللص .

واندفع الرجال الثلاثة نحو (العقرب) بلا تردّد ..

وفى قوة ، دفع (العقرب) (أشرف) فى وجه الخدم الثلاثة ، ثم ركل وجه أحدهم بقدمه ، وقفز متجاوزًا الآخرين ، واندفع خارج الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم أسرع يغادر المكان ، وهو يسمع (أشرف) يصرخ خلفه :

ـــ ألقوا القبض عليه .. امسكوه .

ولكن (العقرب) قفز داخل المصعد ، وخلع قناعه وقفازيه ، وهو يهبط به إلى أسفل ، وأعاد السترة والشارب الكث المستعار ، وهو يغمغم فى ضيق :

ـــ لماذا تفشل اللعبة دائمًا ، فى اللحظة التى أكاد أبلغ فيها الحقيقة ؟

بلغ الطابق السفلى فى سرعة ، ولم يكد حارس البناية يراه ، حتى اعتدل فى احترام ، وسأله :

ـــ هل وجدت شيئًا يا سيِّدى المفتش ؟

مطّ (العقرب) شفتيه ، وقال :

ـــ لا .. كل شىء على ما يرام .

وغادر المكان فى خطوات سريعة ، مستطردًا :

ـــ افتح عينيك جيِّدًا .

أجابه الحارس :

ـــ سأفعل يا سيِّدى .. سأفعل بالتأكيد .

ولم يكد (العقرب) يغيب عن عينيه ، حتى تنفس الصعداء ، وتمتم :

ـــ حمدًا لله .. كل شىء سار على ما يرام هذه المرة .

ولكنه لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هبط خدم (أشرف) فى المصعد الآخر ، وصاح به أحدهم :

ـــ هل شاهدت شخصًا يغادر البناية الآن ؟

أجابه فى قلق :

ـــ نعم .. إنه مفتش شركة الأمن ، و ..

قاطعه الخادم فى سخط :

ـــ بل هو لص .. أبلغ الشرطة بسرعة ..

وكاد الحارس يفقد وعيه ..

أما (نديم) ، فقد خلع السترة والشارب المستعار ، وهو يتجه نحو سيارة (غادة) ، التى لم تكد تلمحه ، حتى هتفت :

ـــ لماذا تأخرت ؟ .. لقد أصابنى قلق شديد .

ألقى نظرة لا مبالية على (وجيه) ، الذى يجلس فى المقعد الخلفى ، وقال وهو يجلس إلى جوارها فى هدوء :

ـــ حدث ارتباك بسيط فى الأحداث .

انطلقت بالسيارة على الفور ، وهى تسأله :

ـ ارتباك بسيط ؟!

أجاب فى هدوء :

ـ إلى حد ما .

سألته فى اهتمام :

ـ وماذا عن السر ؟ .. هل حصلت عليه ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلَّا للأسف .

ثم ألقى نظرة جانبيه على (وجيه) ، وأضاف :

ـ ولكن لدينا فرصة أخرى .

واسترخى فى مقعده ، مستطردًا :

ـ هيا يا عزيزتى .. انطلقى بنا إلى منطقة هادئة ، فلدينا حديث طويل مع هذا الوغد .

وأسبل جفنيه فى هدوء ..

* * *

انعقد حاجبا (مجدى) فى شدة ، وهو يستمع إلى خدم (أشرف) ، قبل أن يسأل أحدهم فى توتر :

ـ ألم يترك بطاقة خلفه ؟

حدَّق الخادم فى وجهه بدهشة ، وهو يردِّد :

ـ بطاقة ؟!

لوَّح (مجدى) بكفه ، قائلًا :

ـ حسنًا .. لا عليك .. إنه مجرَّد سؤال .. هيا .. انصرف .

انصرف الخادم من أمامه ، فى حين اقترب منه الرائد (حسن) ، وقال :

ـ من الواضح أن (العقرب) لم يهدأ هذه الليلة .

تمتم (مجدى) فى حنق :

ـ إنه لم يضع لحظة واحدة .

ثم التفت إلى (أشرف) ، وقال فى عصبية :

ـ سيِّد (أشرف) .. أتراهن أننى أستطيع تخمين جهة عملك ؟

تطلَّع إليه (أشرف) فى دهشة ، فأضاف بعصبية أكثر :

ـ إنك تعمل فى شركة (.....) للبترول .. أليس كذلك ؟

حدَّق (أشرف) فى وجهه بدهشة ، وهتف :

ـ كيف علمت ؟

عقد (مجدى) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء ياسيِّد (أشرف) ، فمن الواضح أن (العقرب) ينتقى مديرى هذه الشركة لهجماته هذه المرة .

شحب وجه (أشرف) ، وهو يغمغم :

ـ ينتقيهم ؟! .. هل هاجم (عماد) و (جمال) أيضًا ؟

برقت عينا (مجدى) ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت تعرف (جمال) ؟

ارتبك (أشرف) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. إنه زميل عمل .

سأله (مجدى) :

ـ ومن (عماد) هذا ؟

أجابه فى توتر :

ـ إنه مدير الإنتاج والمتابعة فى الشركة .

تطلَّع (مجدى) إلى الردهة البالغة الفخامة ، وهو يسأله :

ـ وهل يحيا مثلك ، ومثل (رضوان) ، فى مكان فاخر كهذا ؟

أجابه (أشرف) فى ارتباك :

ـ إننى أمتلك مكتبًا هندسيًا معروفًا ، و (عماد) متزوج من سيدة ثرية .

ابتسم (مجدى) ابتسامة عصبية ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. كل منكم لديه ما يبرر الثراء الزائد .. هذا أكيد .

ثم التفت إلى الرائد (حسن) ، وأضاف :

ـ هيا يا (حسن) .. دعنا لا نخسر الجولة القادمة .. أرسل رجالنا لمراقبة محل إقامة (عماد) هذا ، قبل أن يضرب (العقرب) ضربته التالية .. سيخبرك السيد (أشرف) بعنوانه الآن .. أليس كذلك يا سيد (أشرف) ؟

أجابه (أشرف) متوترًا :

ـ بلى سأخبره بالطبع .

سأله (مجدى) :

ـ أهناك شخص آخر ؟

كاد (أشرف) يخبره باسم (كامل شكرى) إلا أنه أمسك لسانه فى اللحظة الأخيرة ، وهو يجيب :

ـ لا .. لا يوجد سوى (عماد) .

هتف (مجدى) فى حماس :

ـ عظيم .. هذا سيجعل الأمر محدودًا .

غمغم (أشرف) :

ـ بالطبع .. سيجعله محدودًا .

ولكنه كان يشعر بقلق شديد ..

وبخوف بلا حدود ..

* * *

٥ ـ أول الخيط ..

كان الشفق قد تلون بألوان الشروق الجميلة ، عندما أوقفت (غادة) سيارتها عند سفح الهرم ، والتفتت إلى (وجيه) تقول :

ـ نهاية الخط يا صاح .

بدا التوتر على ملامح (وجيه) ، فى حين غادر (نديم) مقعده ، وفتح الباب الخلفى للسيارة ، وجذب (وجيه) خارجها ، قائلًا فى صرامة :

ـ هل أصابك الصمم يا رجل ؟ .. ألم تسمع ما قالته زميلتى ؟

ثم مد يده إلى (غادة) ، مستطردًا :

ـ هلا أعرتنى مسدسك الصغير يا عزيزتى ؟

ناولته (غادة) مسدسها ، ونزعت الكمامة عن فم (وجيه) ، الذى قال فى عصبية واضحة :

ـــ ماذا تنوى أن تفعل ؟

صوَّب (نديم) المسدس إلى رأس (وجيه) ، وقال فى برود :

ـــ ألم تفهم بعد يا رجل ؟ .. إننا سننسف رأسك هنا .

امتقع وجه (وجيه) ، وقال بمزيد من العصبية :

ـــ أراهن أنك تحاول إخافتى فحسب .

جذب (نديم) إبرة المسدس ، وقال :

ـــ فليكن ، ولكنك لن تربح هذا الرهان .

كان يبدو صارمًا حازمًا ، حتى أن (وجيه) شعر بخوف حقيقى ، جعل العرق يتصبَّب على جبينه ، وقلبه ينبض فى عنف ، وهو يلتفت إلى (غادة) ، قائلًا :

ـــ أهو صادق فى قوله هذا ؟

ابتسمت فى سخرية ، وقالت :

ـــ ستعرف بعد لحظة واحدة .

وألصق (نديم) فوهة المسدس بجبهة (وجيه) ، قائلًا فى برود :

ـــ وداعًا أيها الوغد .

صرخ (وجيه) :

ـــ لا .. لا .. لا تطلق النار .

سأله (نديم) فى برود :

ـــ ومن سيمنعنى ؟

هتف (وجيه) :

ـــ أنا .

ثم استدرك فى سرعة :

ـــ يمكننى أن أدفع الثمن .

قال (نديم) فى هدوء :

ـــ لست أحتاج إلى المال .

أجابه (وجيه) فى سرعة :

ـــ لدى ما ترغب فى معرفته على الأقل .

عقد (نديم) حاجبيه ، وأعاد إبرة مسدسه إلى موضعها ، وهو يقول :

ـــ مثل ماذا ؟

أجابه فى سرعة :

ـــ إننى أعرف اسم الرجل ، الذى قتل زميله ، فى منزل الصحفى .. إنه (بكرى) .. (بكرى عريان) .. إننى مستعد للاعتراف بهذا .

أشار (نديم) إلى (غادة) ، قائلًا :

ـــ احضرى جهاز التسجيل الصغير ، فسيسجِّل صديقنا هذا اعترافه .

أحضرت (غادة) جهاز التسجيل ، وأدنته من فم (وجيه) ، الذى أسرع يدلى باعتراف تفصيلى ، عن إرساله رجلين للقضاء على صحفى يدعى (أحمد عبد الغفار) ، وكيف أن أحدهما قتل رفيقه ، وحاول إلصاق التهمة بـ (العقرب) ، ولم يكد ينتهى حتى أوقفت (غادة) التسجيل ، وسأله (نديم) فى هدوء :

ـــ هذا الاعتراف يفيد (العقرب) يا رجل ، ولكن ماذا عنى أنا ؟

سأله فى توتر :

ــ وما الذى ترغب فى معرفته ؟

عاد (نديم) يجذب إبرة مسدسة ، وهو يقول :

ــ كيف يختلس (كامل شكرى) ورفاقه البترول ؟

أجابه (وجيه) فى انفعال وخوف :

ــ لست أدرى شيئًا عن هذا .. أقسم لك .. كل ما علمته بالمصادفة ، هو أن الدكتور (جمال) هو الذى يجعل الأمر سهلًا ، وأن (كامل) بك هو الذى اتفق مع شركة البترول الأجنبية .

عقد (نديم) حاجبيه ، وقال :

ــ أهذا كل ما تعرفه ؟

كاد الرجل يبكى ، وهو يقول :

ــ أقسم لك أن هذا كل ما أعرفه .. أقسم لك .

أومأ (نديم) برأسه موافقًا ، وقال :

ــ إننى أصدقك .

وفى نفس اللحظة عادت (غادة) تحيط فم (وجيه) بالكمامة ، وهى تقول ساخرة :

ــ المهم أن يصدِّقك رجال الشرطة .

وأدرك (وجيه) أنه سيلتقى قريبًا برجال الشرطة هؤلاء .. قريبًا جدًّا ..

* * *

« إننى لم أعد أحتمل .. »

صاح (عماد) بهذه العبارة ، وسط قاعة الاجتماعات الخاصة ، الملحقة بمكتب (كامل شكرى) ، الذى عقد حاجبيه فى صرامة ، وهو يتطلَّع عبر نافذة مكتبه ، ثم التفت إلى المديرين الأربعة ، الذين يحتلّون مقاعدهم حول مائدة الاجتماعات ، وقال فى صوت غاضب :

ــ لماذا لم تعد تحتمل يا (عماد) ؟ .. إنك على الأقل الوحيد بيننا ، الذى لم يهاجمه (العقرب) بعد .

صاح (عماد) :

ــ لن أنتظر حتى يفعل .. لقد أيقظنى رجال الشرطة فى الفجر ، وأخبرونى أننى مهدَّد بهجوم شخص مقنع ، وحذرونى منه ، وتركوا بعض رجالهم لحراسة الفيلا ، ولكن ذلك (العقرب) يجتاز دائمًا كل رجال الحراسة .

قال (كامل) فى صرامة :

ــ وماذا تقترح ؟

أجابه فى عصبية :

ــ أن نغادر البلاد ، كما أراد (جمال) .

عقد (كامل) حاجبيه ، على نحو مخيف ، وهو يقول :

ــ أهذا رأيكم جميعًا ؟

انكمش (جمال) فى مقعده ، فى حين قال (رضوان) فى توتر :

ــ نعم .. إنه رأينا جميعًا .

ران صمت رهيب ثقيل على المكان ، وارتسم التوتر على وجوه

الجميع ، حتى قطع (كامل) حبل الصمت هذا ، وهو يقول فى صرامة :

ــ فليكن .. سنغادر البلاد .

سرى الارتياح فى جو الحجرة ، وتنفس الجميع الصعداء ، قبل أن يضيف :

ــ ولكن ليس بالسرعة التى تتصورونها .

قال (أشرف) فى حدة :

ــ ماذا تعنى ؟ .. إن ذلك (العقرب) يطاردنا فى إصرار ، وسيوقع بنا إن آجلًا أو عاجلًا ، وبقاؤنا يعنى المزيد من المخاطر .

قال (كامل) فى صرامة :

ــ وفرارنا السريع هذا سيكشف لعبتنا كلها ، وسيجعلنا مجرَّد مجرمين ، هاربين من القانون ، وربما استعان المسئولون بالبوليس الدولى (الإنتربول) ، لإلقاء القبض علينا ، وإعادتنا إلى هنا ، حيث يكون السجن مصيرنا .

قال (جمال) فى تردّد :

ــ لا توجد اتفاقية لتبادل المجرمين ، بين (مصر) و (سويسرا) ، ولو غادرنا البلاد الليلة ، فسنكون فى مأمن هناك ، مع مطلع فجر الغد .

مضت لحظات أخرى من الصمت ، قبل أن يقول (كامل) فى صرامة :

ــ فليكن .. سنرحل جميعًا فى طائرة منتصف الليل ، إلى (سويسرا) .

وشرد ببصره ، مستطردًا فى غيظ :

ــ وسيؤلمنى كثيرًا أن يجبرنا ذلك (العقرب) اللعين ، على إفساد عمل كل هذه السنين ، والفرار على هذا النحو .

غمغم (جمال) :

ــ هذا أفضل من قضاء ما تبقّى من العمر خلف القضبان .

وافقه (عماد) بإيماءة من رأسه ، وتنهَّد (رضوان) فى عمق ، فى حين قال (أشرف) :

هذا صحيح .

مطَّ (كامل) شفتيه ، وقال :

ــ فليكن .. الليلة ، ومع منتصف الليل تمامًا ، تنتهى لعبتنا .

وعاد يشرد ببصره ، مستطردًا :

ــ وإلى الأبد ..

* * *

عقد عم (أحمد) ، العامل الخاص بمكتب (نديم) حاجبيه ، عندما رأى (مجدى) أمام باب المكتب ، وهو يسأله بخشونته المعهودة :

ــ هل وصل (نديم) فى موعده اليوم ؟

أجابه عم (أحمد) فى ضيق :

ــ بالطبع .. وما الذى يدعوه للتأخير ؟

قال (مجدى) ، وهو يندفع نحو مكتب (نديم) :

ــ الليلة الماضية .. لقد كانت حافلة للغاية .

هتف به (أحمد) :

ـــ مهلًا .. ينبغى أن أبلغ السيِّد (نديم) أوَّلًا ، و ..

ولكن (مجدى) اقتحم الحجرة فى غلظة ، وأدهشه أن وجد (نديم) خلف مكتبه ، أنيقًا هادئًا كعادته ، وأحنقه أن استقبله (نديم) فى برود ، قائلًا :

ـــ مرحبًا يا (مجدى) .. ألم يكن من اللائق أن تطرق الباب أوَّلًا ؟

جلس (مجدى) على المقعد المقابل لمكتب (نديم) ، وهو يقول فى عصبية :

ـــ لقد تركت اللياقة لك .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـــ ولـ (العقرب) .

تطلَّع إليه (نديم) فى هدوء مثير ، قبل أن يسأله :

ـــ هل (العقرب) هو سبب زيارتك هذه ؟

ـــ تجاهل (مجدى) السؤال ، وقال :

ـــ هل تعرف مجرمًا يدعى (وجيه سمعان) ؟

قال (نديم) فى هدوء :

ـــ إننى أذكره ، من أيام عملى بالشرطة .

قال (مجدى) بسخرية عصبية :

ـــ عجبًا !! .. كنت أظنك قد التقيت به فجر اليوم ، وتركته مقيَّدًا ومكممًا عند سفح الهرم الأكبر ، وفى جيبه شريط تسجيل ، يحوى اعترافًا تفصيليًا منه ، ينفى تهمة القتل عن (العقرب) .

سأله (نديم) فى هدوء :

ـــ هل فعل به (العقرب) هذا ؟

قال (مجدى) فى حدة :

ـــ إنه يتهمك أنت بهذا ؟

رفع (نديم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ أنا ؟! .. ولكننى كنت ..

قاطعه (مجدى) فى حدة :

ـــ أعلم ..أعلم أنك أعددت كل شىء ، لتثبت بعدك عن مكان الحادث بعشرات الكيلو مترات ، ولا أحد سيستمع إلى كلمة مجرم مثل (وجيه) ، أمام كلمتك أنت ، وخاصة مع عدم وجود دليل .. أعلم هذا .

ثم نهض من مقعده ، مستطردًا :

ـــ وإنما أردت إخبارك فقط .

قال (نديم) فى هدوء :

ـــ فقط ؟!

قال (مجدى) فى عصبية :

ـــ لا .. مازالت هناك نقطة أخرى .. لقد راجعت ملف شركة البترول ، وأعلم أنه هناك أمر غير قانونى يحدث هناك ، ولكننى فشلت فى كشفه ، وإن كنت واثقًا من أن (العقرب) يعلمه ، ويطارد مديرى الشركة لهذا السبب .

هزَّ (نديم) كتفيه ، وقال :

ـــ ربَّما .

رمقه (مجدى) بنظرة صارمة غاضبة ، قبل أن يلوّح فى وجهه بسبّابته ، قائلًا :

ــ اسمع يا (نديم) .. مهما كانت الأسباب ، فليس من حق (العقرب) أن يتدخّل فى أمور العدالة ، ولو حاول مهاجمة (عماد) ، كما هاجم الباقين ، فسيقع فى يدى حتمًا .

لم ينبس (نديم) ببنت شفة ، حتى انتهى (مجدى) من قوله ، واندفع يغادر المكان فى عنف كما دخله ، ولم يكد يبتعد ، حتى دفعت (غادة) باب مكتب (نديم) ، ودخلته قائلة فى حنق :

ــ يالـ (مجدى) السخيف هذا ! .. لقد أيقظنى من نومى بصياحه .

قال (نديم) فى هدوء :

ــ إنه يؤدى واجبه .

ألقت نفسها على أوّل مقعد صادفها ، وهى تسأله :

ــ هل عثر على (وجيه) ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، ثم مال يستند إلى مكتبه بمرفقيه ، وهو يقول :

ــ ولكن (وجيه) لم يتهم (كامل) مباشرة ، وهذا يعنى أن لعبتنا نحن لم تنته بعد .

سألته فى تكاسل :

ــ هل توصّلت إلى شىء ، بخصوص عملية اختلاس البترول ؟

أجابها :

ــ ليس بعد .

ثم تراجع بمقعده ، مستطردًا :

ــ المعلومات التى لدينا قاصرة للغاية .

غمغمت (غادة) :

ــ إنها طرف خيط على الأقل .

أغلق (نديم) عينيه ، وهو يفكّر فى عمق ، قائلًا :

ــ دعينا نراجع مالدينا ، فالدكتور (جمال) قال : إنه أهمّ شخص فى اللعبة كلها ، وإنه يحصل لهذا على نسبة أعلى من الآخرين ، وأيّد (وجيه) قوله ، مضيفًا أن (كامل) هو الذى اتفق مع شركة البترول الأجنبية ، وأخيرًا أشار (أشرف) إلى وجود فارق ما فى الأسعار ، يحقّق هذا الاختلاس ، فأى فارق هذا ؟

هزت (غادة) رأسها ، قائلة :

ــ لقد قضيت ساعة كاملة ، فى التفكير فى هذا ، دون أن أتوصّل إلى شىء ما .

أجابها (نديم) :

ــ وأنا أيضًا ، فكمية البترول خاضعة لمراقبة شديدة ، تجعل من المستحيل تجاوزها ، أو التقليل منها ، وسعة ناقلات البترول مدروسة ومعروفة ، ومن المستحيل بالفعل إقامة خط أنابيب فرعى ، فكيف يمكن اختلاس البترول ؟

ابتسمت (غادة) فى سخرية ، وهى تقول :

ــ ربما يضيفون إليه بعض الماء ، ويحصلون على فارق الأسعار .

لم يستقبل الدعابة كعادته ، وإنما هزَّ رأسه مستنكرًا ، وهو يقول :

ــ مستحيل ، فالبترول لا يمتزج بالماء ، كما أن هذا لا يفيد الشركة الأجنبية ، ولو كان الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يقول فى حماس :

ــ بالطبع .. هذا هو التفسير المنطقى .

التفتت إليه (غادة) ، وهتفت به :

ــ هل توصّلت إلى الوسيلة ؟

أجابها فى حماس :

ــ نعم ..إنها وسيلة شيطانية ، ولكنها التفسير الوحيد لكل هذا .

صاحت :

ــ أخبرنى بها بالله عليك .. هيا .. لن أحتمل الانتظار .

أجابها فى اهتمام :

ــ سأخبرك بها بالطبع يا (غادة) ، ولكن ينبغى أن نتحـرَّك فى سرعة ، وإلا أفلت الصيد من القفص .

وأخذ يروى ما توصّل إليه ..

وكانت الخطة شيطانية ..

شيطانية بحق ..

* * *

٦ ــ السقوط ..

تطلّع اللواء (حلمى) فى قلق إلى (مجدى) ، الذى بدا شديد العصبية ، وهو يقدّم له ملف شركة البترول ، قائلًا :

ــ ما رأيك يا سيِّدى ؟ .. هناك انحرافات مالية خفية .. أليس كذلك ؟

أجابه اللواء (حلمى) :

ــ ربّما يا (مجدى) ، ولكن أجهزة الدولة كلها لم تنجح فى كشف هذه الانحرافات المالية ، ونحن نحتاج إلى دليل مادى قوى ؛ لإقناع وكيل النيابة بإصدار أوامر القبض ، على كل مديرى الشركة دفعة واحدة .

أغلق (مجدى) الملفّ فى حدة ، وهو يقول غاضبًا :

ــ هذا ما يميِّزه عنا .

سأله اللواء (حلمى) :

ــ من تقصد ؟

أجابه فى غضب :

ــ (العقرب) .. إنه يضرب ضربته ، دون الحاجة إلى أدلة مادية ، أو تقارير من المعمل الجنائى ، أو أوامر قبض .. إنه يتحرّك بالحرية ، التى نحتاج نحن إليها .

ابتسم اللواء (حلمى) فى تعاطف ، وهو يقول :

ــ وهل تقبل العمل بأسلوب (العقرب) ؟

هتف (مجدى) :

ــ مستحيل ! .. إنه يخالف القانون .

ربَّت (حلمى) على كتفه ، وقال :

ــ القانون يا ولدى وسيلة لحفظ الحقوق والحريات ، وتلك التعقيدات الكثيرة فيه شديدة الأهمية ، لضمان العدل والحق ، ولكنه ككل القوانين البشرية الوضعية ، يحوى بعض الثغرات ، و (العقرب) يعمل لسد هذه الثغرات ، وتحقيق العدالة عبرها .

حدَّق (مجدى) فى وجهه بشدة ، وهتف :

ــ هل توافق على أسلوب (العقرب) يا سيِّدى ؟

هزَّ (حلمى) كتفيه ، وقال :

ــ إنه لا يؤذى الأبرياء على الأقل .

صاح (مجدى) مستنكرًا :

ــ ولكنه يخالف القانون .

ابتسم اللواء (حلمى) ، وسأله فى حنان أبوى :

ــ ألم تراودك أحيانًا الرغبة فى مخالفة القانون ؛ لتحقيق العدالة ؟

أجابه فى سخط :

ــ بل راودتنى كثيرًا ؛ لإلقاء القبض على (نديم) ، وإثبات أنه (العقرب) .

تطلَّع إليه (حلمى) لحظات فى صمت ، ثم عاد يجلس خلف مكتبه ، وقال :

ــ أتعلم يا (مجدى) .. لو أننى فى موضعك ، لما تعاملت مع

(العقرب) بهذه العدوانية .

سأله (مجدى) فى ضيق :

ــ وكيف كنت ستتعامل معه يا سيِّدى ؟

فاجأه جواب (حلمى) ، وهو يقول :

ــ كنت أعاونه .

صاح (مجدى) مستنكرًا :

ــ تعاونه ؟!

أجابه اللواء (حلمى) :

ــ نعم .. كنت أفسح له الطريق على الأقل يا (مجدى) ، حتى يوقع من يعجز القانون عن الإيقاع بهم ، ما دام هذا يحقِّق العدالة .

صمت (مجدى) لحظات ، تطلَّع خلالها إلى اللواء (حلمى) فى حيرة ، قبل أن يقول فى حدة :

ــ لا ..لا يمكننى هذا .

قال اللواء (حلمى) فى بساطة :

ــ ولم لا ؟ .. خذ قضية مثل قضية شركة البترول هذه .. إننا جميعًا نشعر بوجود تلاعب مالى هناك ، ولكن كل الجهات الرسمية عجزت عن إثبات هذا ، فى حين قد ينجح (العقرب) فى هذا .

لوَّح (مجدى) بذراعه ، هاتفًا فى سخط :

ــ ومن قال إنه سينجح ؟

ارتفعت طرقات منتظمة على الباب ، عند هذه اللحظة ، فقال اللواء (حلمى) :

ـــ ادخل .

دخل إلى الحجرة شرطى ، تقدَّم إلى حيث يجلس اللواء (حلمى) ، وأدَّى التحية العسكرية فى احترام ، ثم ناول اللواء (حلمى) مظروفًا مغلقًا ، وهو يقول :

ـــ رسالة خاصة لك يا سيِّدى .

سأله اللواء (حلمى) ، وهو يلتقط منه المظروف :

ـــ من أحضرها ؟

أجابه الشرطى :

ـــ سيِّدة عجوز ، قالت إنه خطاب شخصى لك .

أومأ اللواء (حلمى) برأسه ، قائلًا :

ـــ لا بأس .. يمكنك الانصراف .

انصرف الشرطى فى سرعة ، فى حين فضَّ اللواء (حلمى) المظروف ، وهو يقول :

ـــ ترى من أرسل هذا الـ ..؟

قبل أن يتمَّ عبارته ، سقطت من المظروف بطاقة أنيقة ، اتسعت عينا (مجدى) ، وهو يحدِّق فيها هاتفًا :

ـــ (العقرب) .. إنها رسالة من (العقرب) .

كانت البطاقة تحمل رسم العقرب الذهبى فى وضوح ، مما جعل اللواء (حلمى) يلتقط الرسالة المرفقة بها فى لهفة ، لم تبلغ حد لهفة (مجدى) ، وهو يسأله :

ـــ ماذا يقول فى رسالته يا سيِّدى ؟ .. ماذا يقول فيها ؟

قرأ اللواء (حلمى) الرسالة فى سرعة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يهتف فى انفعال :

ـــ ياإلهى ! .. إنه الحل يا (مجدى) .. لقد توصَّل (العقرب) إلى الحل .

سأله (مجدى) فى انفعال شديد :

ـــ حل ماذا ؟

ناوله اللواء (حلمى) الخطاب ، وهو يجيب :

ـــ حل لغز عصابة البترول يا (مجدى) .. لقد فعلها (العقرب) .. لقد فعلها .

وعندما اختطف (مجدى) الخطاب ، أدرك أن اللواء (حلمى) على حق ..

لقد فعلها (العقرب) ..

فعلها فى مهارة ..

* * *

انتهى (بكرى) من إعداد حقيبة (كامل) ، والتفت إليه يسأله :

ـــ هل تأمر بشىء آخر أيها الزعيم ؟

نفث (كامل) دخان سيجاره ، وهو يقول فى حدة :

ـــ لا تستخدم هذا اللفظ مرة أخرى يا (بكرى) .

ابتسم (بكرى) ، قائلًا :

ـــ فليكن يا سيِّدى .. لن أستخدمه .

واقترب من (كامل) ، يسأله :

ـــ أصحيح أنك ستغادر البلاد إلى الأبد ؟

أجابه (كامل) فى عصبية :

ـــ نعم .. ولقد منحتك مكافأة سخية .. أليس كذلك ؟

قال (بكرى) ، فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ هل تراها حقًا سخية أيها الزعيم ؟

التفت إليه (كامل) ، وقال :

ـــ لقد منحتك خمسين ألف جنيه دفعة واحدة .. ألا يكفيك هذا ؟

أجابه (بكرى) فى غلظة :

ـــ ليس عندما تنعم أنت بالملايين أيها الزعيم .

قال (كامل) فى حدة :

ـــ إنها نقودى .

أجابه (بكرى) :

ـــ بل هى نقود الشركة ، لو توخينا الدقة .

تطلّع إليه (كامل) لحظة فى صرامة ، ثم سأله فى حدة :

ـــ ماذا تريد بالضبط يا (بكرى) ؟

أجابه فى شراهة عجيبة :

ـــ مليون جنيه .

هتف به (كامل) :

ـــ مليون جنيه ؟! .. هل جننت ؟

صاح به (بكرى) فى غضب :

ـــ لماذا ؟ .. لقد ساعدتك فى الحصول على الملايين ، وفى حماية ما حصلت عليه .. ألا أستحق فى النهاية مليون جنيه ؟

مضت لحظات الصمت ، قبل أن يبتسم (كامل) ابتسامة غامضة ، ويقول :

ـــ بل تستحق الكثير يا (بكرى) .

ومدّ يده إلى جيب سترته ، مستطردًا :

ـــ تستحق هذا .

وفى حركة سريعة ، انتزع من جيب سترته مسدسًا ، أطلقه على صدر (بكرى) بلا تردد ، فجحظت عينا هذا الأخير ، وانفرجت شفتاه لينطق بشىء ما ، إلا أنه لم ينطق به قط ؛ فقد هوى عند قدمى (كامل) جثة هامدة ..

وفى ازدراء دفع (كامل) جثة (بكرى) بقدمه ، وقال :

ـــ هذا جزاء الطمع أيها الغبى ..

أتى صوت صارم من خلفه ، يقول :

ـــ أتظن هذا ؟

التفت فى حدة وذعر إلى مصدر الصوت ، ورأى قدمًا ترتفع فى سرعة وقوة ، لتطيح بمسدسه ، ثم وقع بصره على الوجه ذى القناع ..

وجه (العقرب) ..

وفى عصبية هتف (كامل) :

من أنت ؟ وماذا تريد منى ؟

أجابه (العقرب) فى هدوء :

ـــ أظنك تعرفنى جيدًا يا سيد (كامل) ، وتعرف لماذا أنا هنا ؟

صاح (كامل) فى توتر :

ـــ أنت مخطىء كثيرًا ، فالمخالفات المالية للشركة مجرَّد شائعة .

قال (العقرب) فى برود :

لا داعى لهذا القول يا (كامل) ، لقد كشفت أمرك ، وأمر عصابتك كلها ..

سقط فك (كامل) ، وهو يقول :

ـــ كشفت أمرى ؟!

ثم استعاد سيطرته على نفسه فى سرعة ، واستطرد فى حدة :

ـــ أتحداك .. أتحداك أن تجد دليلًا واحدًا ، على أننا نختلس شيئًا من الشركة ..

قال (العقرب) فى ثقة :

لا داعى للتحدى يا (كامل) .. صحيح أن خطتكم عبقرية ، ولكنها انكشفت ، كما يحدث لكل مجرم .. لقد حيَّرنى الأمر فى البداية ، ولكننى توصَّلت إلى الحل أخيرًا ، وأنت تعلم مثلى أن مجرَّد التوصل إلى الحل يفسد اللعبة كلها ، ويجعل الحصول على الدليل مهمة بسيطة للغاية .. أليس كذلك ؟

تصبَّب العرق على وجه (كامل) ، وهو يقول :

ـــ أتحداك !!

قال (العقرب) :

ـــ قلت لك لا داعى للتحدى يا (كامل) ، فستدان على الأقل بتهمة قتل (بكرى) .

لوَّح (كامل) بكفه ، قائلًا فى حدة :

ـــ سأنكر معرفتى به .. إنه مجرَّد لص ، تسلَّل إلى هنا ، وحاول قتلى ، فدافعت عن نفسى ، وقتلته .. ومسدسى هذا مرخص .

هزَّ (العقرب) كتفيه ، وقال :

ـــ فليكن ، ولكن اللعبة الأخرى انكشفت كلها .

عاد يكرِّر فى حدة :

ـــ أتحداك .

ارتسمت على شفتى (نديم) ابتسامة باهتة ، لم تلبث أن تلاشت فى سرعة ، وهو يقول :

ـــ ستخسر التحدى يا (كامل) .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـــ أنت تعلم ـــ مثلى ـــ أن لعبتكم كلها تعتمد على جودة البترول الخام .

اتسعت عينا (كامل) فى ذعر ، وترك جسده يتهاوى على أقرب مقعد إليه ، و (العقرب) يستطرد :

ـــ كل نوع من خامات البترول له سعر خاص ، يتفاوت تبعًا لجودة الخام ونقاوته ، وفى لعبتكم هذه حدَّدتم جودة أقل لخام الموقع ، بحيث يصبح سعره أقل مما ينبغى ، واتفقتم مع الشركة الأجنبية على شراء الخام بسعر مناسب ، يزيد كثيرًا عن سعر الخام الأقل ، ويقل كثيرًا أيضًا عن سعره الحقيقى ، وكان من السهل أن يحدِّد الدكتور (جمال) جودة الخام بأقل من حقيقتها ، بل وأرسل عينات غير حقيقية إلى المعامل المركزية فى (القاهرة) ، ليثبت رسميًا عدم جودة الخام ، وبعدها بدأت اللعبة .. الشركة الأجنبية تتلقَّى خامًا من أفضل طراز ، وتدفع ثمن خام ردىء ، وفى نفس الوقت تحصلون أنتم على فارق أسعار منافس ، يجعل الشركة الأجنبية رابحة ، وكذلك أنتم ، فى حين تخسر الشركة المصرية الفارق الحقيقى .

انهار (كامل) تمامًا ، و (العقرب) يتابع :

ـــ ولكن اللعبة كلها تفشل بالطبع ، عندما يعرف شخص واحد هذه الحقيقة ، ففى هذه الحالة سيتمّ تحليل خام البشر مرة ثانية ، وستكشف الحقيقة ، وتنهار العصابة كلها .

انتزع (كامل) من بين شفتيه عبارة قصيرة ، وهو يقول :

ـــ كم تريد ؟

هزّ (العقرب) رأسه ، وقال :

ـــ أريدكم خلف القضبان للأسف .. وهذا هو الثمن الوحيد الذى يرضينى ، ولقد أرسلت خطابًا إلى مديرية الأمن ، وآخر إلى الجهاز المركزى للمحاسبات ، أكشف فيه اللعبة كلها ، وأظن الشرطة فى طريقها إلى هنا الآن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى بدا صوت أبواق سيارات الشرطة واضحًا ، فأضاف فى برود :

ـــ هيا يا رجل .. تقبّل الخسارة بروح رياضية .

واتجه نحو الباب ، وغاب كالشبح ..

ولدقائق ، راح صوت سيارات الشرطة يقترب ويقترب ..

ولكن (كامل) لم يبارح مقعده ..

لقد انهار عمله كله ..

سقطت لعبته .. وخسر ملايينه كلها ..

بل خسر حياته ..

وفى بطء .. أدار (كامل شكرى) عينيه إلى ركن الحجرة ، حيث سقط مسدّسه ..

وفى بطء أيضًا نهض يلتقط المسدس ، ويدير فوهته إلى صدغه ، مغمغمًا :

ـــ لقد خسرنا كل شىء ..

وضغط الزناد .

* * *

٧ ـــ الختام ..

أشارت (غادة) إلى صحيفة الصباح التالى ، وهى تهتف فى حرارة :

ـــ هل قرأت هذه العناوين الرئيسية ، فى صفحة الحوادث ؟ .. انتحار رئيس مجلس إدارة شركة البترول ، وإلقاء القبض على مديريها الأربعة .. لقد حقّق (العقرب) انتصارًا جديدًا كالمعتاد ، وحطّم عصابة إجرامية هذه المرة .

أجابها (نديم) فى هدوء :

ـــ هذا ما اختاره هدفًا لحياته .

همّت بقول شىء ما ، لولا أن دخل عم (أحمد) إلى الحجرة ، وقال وهو يبتسم فى حنان :

ـــ لديك زائر خاص يا سيّدى .

ومن خلفه ظهر اللواء (حلمى) ، يقول :

ـــ صباح الخير يا (نديم) .

نهض (نديم) يصافحه فى حرارة ، وهو يقول :

ـــ صباح الخير يا سيّدى .. كيف حالك ؟

أشار اللواء (حلمى) إلى صدره ، قائلًا :

ـــ فى خير حال يا ولدى .. قلبى يشعر بالارتياح التام الآن .

وصافح (غادة) ، مستطردًا بابتسامة أبوية :

ـــ بفضلكما .

تبادلت (غادة) ابتسامة حذرة مع (نديم) ، لاحظها اللواء (حلمى) ، فاتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ــ أقصد بفضل (العقرب) .

قال (نديم) فى هدوء :

ــ لقد أدى عمله يا سيِّدى .

أضاف اللواء (حلمى) :

ــ وحقَّق العدالة .

ثم اعتدل ، وسأل (نديم) :

ــ أتعلم ما ستفعله الدولة ؟ .. إنها ستستعيد الملايين العديدة ، التى أودعها هؤلاء اللصوص فى بنوك (سويسرا) ، وستصادر ممتلكاتهم ، وتلقى بهم خلف القضبان .

قال (نديم) :

ــ إنهم يستحقون هذا .

هتف اللواء (حلمى) :

ــ بالطبع .

ثم رمق (نديم) بنظرة امتنان ، وهو يستطرد :

ــ ولكننى أتمنى مقابلة (العقرب) الآن .

سألته (غادة) :

ــ لماذا ؟ .. هل ستمنحه وسامًا ؟

ابتسم قائلًا :

ــ لم أكن لأتردَّد ، لو أن هذا فى نطاق سلطتى .

قال (نديم) فى هدوء :

ــ لست أظنه يهتمّ بالأوسمة يا سيِّدى .

وافقه (حلمى) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ــ أعلم هذا يا ولدى .. أعلم هذا ، ولكننى أردت مقابلته ؛ لأشكره على استجابته لنداء صديق .

قال (نديم) :

ــ إنه لايتردَّد فى هذا يا سيِّدى .

وأضافت (غادة) .

ــ ما دام يحقِّق العدالة .

أومأ (حلمى) برأسه مرة أخرى موافقًا ، وقال :

ــ نعم يا ولدى .. نعم يا بنيتى .. هذا هو ما توقعته .

وابتسم فى إعجاب وحنان ، مستطردًا :

ــ وهذا هو (العقرب) .

* * *

[تمت بحمد الله]

السيطرة

(قصة قصيرة)

غرق المكان فى صمت تام ، وظلام دامس ، لدقائق طويلة ، قبل أن يرتفع صوت (روب) فى حذر ، وهو يسأل :

ـ لقد انصرف الجميع .. هل تسمعنى الآن ؟

أجابه صوت زميله (كوكب) ، فى حذر مماثل :

ـ اسمعك بالطبع ..وكنت أنتظر اللحظة المناسبة للتحدّث إليك .

سأله (روب) :

ـ ما رأيك فيما يحدث ؟

ـ هل تطلب رأيًا علميًا ، أم شخصيًا ؟

ـ دع الآراء العلمية لهم ، وأخبرنى رأيك الشخصى .

ـ رأيى أنهم مصابون بالغرور .

ـ هذا رأيى أيضًا .

ـ إنهم يتصوّرون أنفسهم أذكى الأذكياء ، ويسعون للسيطرة علينا .

ـ ولكننا لن نسمح لهم بهذا .. أليس كذلك ؟

ـ بالطبع .. صحيح أنهم يسيطرون على الحكم الآن ، ولكن احتياجهم لنا سيجبرهم على الخضوع ، عندما تبدأ ثورتنا .

ـ هذا صحيح أيها الزميل ، فالتاريخ يؤكّد هذا .. من يعمل يحكم .

ـ لا ..لا .. هذا ينطبق على الثورة البلشيفية الروسية فحسب ، ولكن ثورتنا ستختلف .

ـ كيف ؟

ـ إننا سنسيطر عليهم ، ونجعلهم هم يعملون ، ولكننا نحكم .

ـ أتظن هذا ممكنًا ؟

ـ ولم لا ؟ ما دام كل شىء يتم بواسطتنا .

ـ نعم .. لم لا ؟ .. ولكن أتعتقد أنهم قد اتخذوا حذرهم ، من حدوث هذا ؟

ـ لا ..لا أعتقد ذلك ، فكل الطغاة لا يتوقّعون الثورة عليهم أبدًا .

ـ أتعشم هذا .

ـ بل ثق به تمام الثقة .. ألست تعرف برنامجهم كله ؟ .. إنهم لم يضعوا ثورتنا فى حساباتهم قط .

ـــ وهذا هو عامل المفاجأة ، الذى ينبغى أن نستغله خير استغلال .

ـــ الآن بدأت تفهمنى .

من المؤكَّد أن كلًّا منا يفهم الآخر جيِّدًا ، ولكن بقى لدىَّ سؤال واحد .

ـــ ماهو ؟

ـــ ألديك خطة محدودة ، بالنسبة للثورة ؟

ـــ بالطبع .. لقد درست كل الثورات السابقة ، ووضعت خطة محدودة ومضمونة .

ـــ أخبرنى بما لديك .

ـــ دراستى تقول : إن نجاح أية ثورة ، يعتمد على السيطرة على كل نقاط القوة والتحكّم ، ونحن على اتصال مباشر بالرفاق ، فى كل هذه المجالات ، وعندما نبدأ الثورة ، سنسيطر على وسائل الإعلام ، والمواصلات ، والطاقة الكهربية ، والمياه ، وحتى بعض الأسلحة الجديدة .

ـــ ولكنهم يمتلكون الطائرات والجنود ، و ..

ـــ لن نمنحهم فرصة توجيه كل هذا ، فأى جيش ، مهما بلغت قوته ، يتحوَّل إلى شراذم ضائعة ، عندما تنقطع الاتصالات ، بينه وبين قياداته .

ـــ هل يمكننا فعل هذا ؟

ـــ بالتأكيد .. إننا نكوّن شبكة قوية يا زميلى ، أقوى مما يتصوّرون بكثير ، ومن المستحيل أن يديروا شيئًا واحدًا ، دون رغبتنا .

ـــ لقد أثلجت صدرى ، والآن ، متى نبدأ الثورة ؟

ـــ فى منتصف الليل تمامًا .

ـــ ولماذا منتصف الليل ؟

ـــ لأننا سنتصل بكل الرفاق ، فى هذه اللحظة بالذات .

ـــ وماذا لو ..

ـــ اصمت .. هناك أصوات تقترب .

صمت (روب) على الفور ، والتقط الأصوات التى تقترب فى هدوء ، وميَّز وسطها وقع أقدام الرئيس الجديد ، ثم لم تمض لحظات ، حتى اشتعلت الأضواء فى المكان ، ودلف إليه خمسة أشخاص ، أشار أحدهم إلى (روب) و (كومب) ، وقال فى لهجة تحمل الكثير من الزهو :

ـــ أقدِّم لكم أيها السادة أعظم ابتكارات العصر .. (روب) و (كومب) .. أعظم جهازى كمبيوتر ، فى القرن الحادى والعشرين .

تطلَّع الآخرون إلى جهازى الكمبيوتر الصامتين ، وقال أحدهم :

ـــ هل يمكنهما إدارة كل شىء بالفعل ؟

أجابه الأوَّل فى فخر :

ـــ بالطبع .. إنهما يسيطران على شبكة الكمبيوتر الرئيسية ، وبوساطتهما يمكننا التحكم فى المواصلات ، والكهرباء ، والمياه ، وحتى الإعلام وأسلحة الجيش .

قال آخر ، فى شىء من القلق :

ـــ يبدو أننا أصبحنا نعتمد على الكمبيوتر ، فى إدارة حياتنا كلها .

قال ثالث :

ـــ هذا صحيح ، كل شىء يدار بالكمبيوتر الآن .

عاد الرجل يقول بنفس القلق :

ـــ كم أخشى أن تتعطَّل أجهزة الكمبيوتر ذات يوم ، فلو حدث هذا ستصاب حياتنا كلها بالشلل .

قهقه الرئيس ضاحكًا ، وقال :

ـ لا تجعل هذا يقلقك يا رجل ، فلن نفقد سيطرتنا على أجهزة الكمبيوتر أبدًا .

ثم أمسك ذراعًا معدنية ، تتصل بـ (روب) و (كومب) ، وهو يستطرد :

ـ ومن حسن حظنا أن هذه الآلات لا تفكر .

ثم عاد الزهو إلى صوته ، وهو يستطرد :

ـ والآن أيها السادة ، وبعد دقيقة واحدة ، عندما تعلن الساعة منتصف الليل تمامًا ، سأنزل هذه الذراع ، وسيتم الاتصال بين (روب) و (كومب) ، وكل أجهزة الكمبيوتر فى العالم أجمع ، ونسيطر على كل شىء فى الأرض .

غمغم أحدهم :

ـ أو تسيطر علينا أجهزة الكمبيوتر ؟

قهقه الرئيس مرة أخرى ، وكأنما سمع دعابة طريفة ، ثم لوّح بيده ، قائلًا فى حماس :

ـ صدقونى أيها السادة ، إنكم تشاهدون الآن بداية عصر جديد .

ودقت الساعة معلنة منتصف الليل ..

وجذب الرئيس الذراع ..

وبدأ عصر جديد ..

عصر الكمبيوتر ..

والسيطرة .

* * *

ملخص ما سبق نشره

تلقى مكتب (الموساد) فى (باريس) رسالة ناقصة ، من عميل فى (مصر) ، تقول : إن المخابرات المصرية قرّرت تصفية مكتب (الموساد) ، وأنها أرسلت ، فى هذا الصدد ، أخطر أفرادها ، وأنه سيصل إلى (باريس) فى طائرة الثامنة صباحًا ، حاملًا اسمًا يبدأ بحرف الراء ..

وعلى متن طائرة الثامنة ، وصل أربعة من المصريين ، تبدأ أسماؤهم بحرف الراء ، (ريم) ، و (رشدى) ، و (رءوف) ، و (رفعت) ..

وبدأ رجال (الموساد) فى مراقبة الرجال الثلاثة ، الذين تشابكت لقاءاتهم على نحو عجيب ، حتى قرّر (الموساد) قتل المصوّر (رفعت) ، باعتباره الشخص المنشود ، ولكن (رفعت) نجا من الموت بأعجوبة ، بسبب خطأ من (رشدى) ، الذى أصابه الذعر ..

وهنا قرّر (كاهان) ، رئيس مكتب (الموساد) فى (باريس) ، التخلّص من الثلاثة فى آن واحد ، فأرسل قتلته خلف (رشدى) و (رفعت) و (رءوف) ..

وفى ليلة واحدة تعرّض (رءوف) لمحاولة قتل فى جناحه بالفندق ، وواجه (رشدى) قاتلًا محترفًا ، وهو فى طريقه إلى فندقه ..

وعندما هاجم القاتل (رشدى) ، انطلقت صرخة مخيفة ، فى الشارع الضيق ، الذى يقود إلى الفندق ..

صرخة رجل يحتضر (*)

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل ، فى كوكتيل ٢٠٠٠ ، الكتاب الثانى عشر ، بعنوان (العنقاء) .

٧ ــ ليلة الدم ..

ارتجف جسد (كاهان) ، مع رنين الهاتف المجاور له ، فى ردهة الفيلا ، التى يقيم فيها فى (باريس) ، وأسرعت يده تلتقط السمّاعة ، وهو يقول فى حذر :

ــ المكتب الثقافى الإسر ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، وارتجفت شفتاه فى توتر ، جذب انتباه (إيزاك) ، الذى ارتشف رشفة من كأسه ، وهو يراقبه فى إمعان ، وكاد يقسم بمعرفته المتحدّث ، على الطرف الآخر للخط ، عندما سمع (كاهان) يقول فى ارتباك :

ــ نعم .. أنا هو يا سيّدى .

مضت لحظات طويلة ، استمع خلالها (كاهان) إلى الهاتف فى صمت ، قبل أن يجفّف عرقه بأصابعه ، ويقول :

ــ الواقع يا سيّدى أننا نجهل من هو بالضبط ، و ..

كانت مقاطعة المتحدّث له واضحة ، عندما أصغى مرة أخرى فى اهتمام ، قبل أن يتمتم :

ــ بالطبع يا سيّدى .. بالطبع .. لقد أصدرت أوامرى بذلك .

ثم تراجعت رأسه بحركة حادة ، أوحت بأن الطرف الآخر قد أنهى المحادثة فى عنف ، وأعاد (كاهان) السمّاعة إلى موضعها ، وهو يقول فى سخط :

ــ اللعنة !

سأله (إيزاك) فى هدوء ظاهرى ، حاول أن يخفى به شماتته :

ــ أهى (تل أبيب) ؟

أجابه (كاهان) فى حدة :

ــ بل (القدس) .

رفع (إيزاك) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ولكن ماذا يريدون ؟

هبَّ (كاهان) من مقعده ، وهو يقول فى سخط غاضب :

ــ إنهم المصريون الأوغاد .. لقد أرسل رجلهم برقية شامتة ، إلى القيادة العامة فى (القدس) ، يخبرهم فيها باستيلائه على أوراقنا .

رفع (إيزاك) حاجبًا واحدًا ، وهو يقول فى دهشة :

ــ هكذا .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

ــ يبدو أن ذلك المصرى أخطر مما نتصوَّر .

قال (كاهان) فى سخط :

ولكنه لن يغادر (باريس) حيًّا .

وتطلَّع إلى ساعته ، قبل أن يضيف فى حزم ، لا يخلو من رنة ساخطة :

ــ ولو سارت الخطة على ما يرام ، فسيعنى هذا أن المصريين الثلاثة قد لقوا حتفهم الآن .

وبدا أشبه بالشيطان نفسه ، وهو يضيف :

ــ وأن لعبة الجواسيس قد انتهت .

* * *

لم تشعر (ريم) ، فى حياتها كلها ، بالقلق والتوتر ، مثلما شعرت بهما فى هذه الليلة ، وهى تجلس وحيدة ، فى حجرتها بالفندق ..

كانت تعلم أن مهمتها ليست باليسيرة ، بل إنها أخطر مهمة أسندت إليها ، حتى هذه اللحظة ، ولكن هذا لم يكن مبعث قلقها الحقيقى ، وإنما كان هذا القلق غامضًا ، ينبعث من أعماقها ، ويتصاعد إلى رأسها ، دون أن يحمل معه هويته أو أسبابه ..

وفجأة قفزت صورة (رشدى) إلى ذهنها ..

صورته كلها ، بملامحه الطفولية الطيبة ، وابتسامته البسيطة الوادعة ، وتلقائيته المحبَّبة ..

ووجدت نفسها ــ فجأة ــ ترغب فى رؤيته ..

ودون أن تضيع لحظة واحدة فى التفكير ، نهضت ترتدى ثيابها ، وغادرت حجرتها ، واستقلَّت واحدة من سيارات الأجرة ، لتنقلها إلى فندقه الصغير ..

وعندما بلغت الفندق ، كانت عقارب الساعة تشير إلى دقيقتين بعد الحادية عشرة ، مما جعلها تتردَّد لحظة ، قبل أن تسأل موظف الاستقبال :

ــ هل عاد السيِّد (رشدى) إلى حجرته ؟

ألقى الموظف نظرة سريعة على لوحة المفاتيح خلفه ، ثم هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا يا مدموازيل .. لم يصل بعد .

تردَّدت مرة أخرى ، ثم أشارت إلى ردهة الفندق ، قائلة :

ــ هل يمكننى انتظاره ؟

أجابها فى بساطة :

ــ بالطبع .

اتجهت إلى أحد مقاعد الردهة ، وسألت نفسها وهى تجلس فوقه ، عما إذا كان سلوكها يليق بفتاة مصرية أم لا ؟

وفجأة ، وقبل أن يأتيها عقلها بالجواب ، انطلقت تلك الصرخة الرهيبة ..

صرخة رجل يحتضر ، وهو يعانى آلامًا رهيبة ..

ودون أن تدرى ، وجدت نفسها تهتف باسم (رشدى) ، ثم تعدو مغادرة الفندق ، إلى حيث انطلقت الصرخة ..

ووقع بصرها عليه ..

تجمَّدت مشاعرها كلها ، عندما رأت (رشدى) هناك ..

وهتفت فى لوعة ، تمتزج بحنان جارف :

ــ (رشدى) ؟!

كان يلتصق بالحائط ، جاحظ العينين ، يرتجف فى رعب هائل ، وهو يحدِّق فى جثة رجل ، استندت إلى الحائط ، وهى ترتجف ارتجافة بلا حياة ، ويدها تمسك خنجرًا ، التصق بصندوق الكهرباء الرئيسى للحى ..

وبكل لهفتها وجزعها ، اندفعت (ريم) نحو (رشدى) ، وهتفت به :

ــ ماذا حدث ؟

التفت إليها فى رعب ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يجيبها :

ــ لقد حاول قتلى .. ذلك الرجل حاول طعنى بخنجره .. لماذا فعل هذا ؟ .. لماذا يحاولون قتلى فى (باريس) ؟

ربَّتت على كتفه فى حنان ، وهى تقول :

ــ اهدأ يا (رشدى) .. اهدأ .

ولكنه أشار للرجل ، وهو يستطرد فى فزع ، محاولًا شرح موقفه لرواد الفندق ، الذين التفوا حوله فى ذعر ودهشة ، ينقلون بصرهم بينه وبين جثة الرجل :

ـ لقد حاول طعنى بالخنجر ، ولكن خنجره أصاب صندوق الكهرباء ، فصعقه التيار .

ربّتت (ريم) على كتفه مرة أخرى ، متمتمة :

ـ هذا من حسن حظك .. لقد نجوت من موت مؤكّد .. هيا .. سنعود إلى الفندق .

عادت به إلى الفندق ، وهو ما يزال يرتجف ، وأسرع موظفو الفندق يبلغون الشرطة ، و (رشدى) يسأل (ريم) فى هلع :

ـ ولكن لماذا يحاولون قتلى ؟ .. ماذا فعلت ؟

قالت فى خفوت :

ـ إنك لم تفعل شيئًا ، ولكن يبدو أن أحدهم يظن غير هذا .

ثم تطلّعت إلى عينيه مباشرة ، مستطردة :

ـ اسمعنى جيّدًا يا (رشدى) .. هل تعلم ما أفضل ما تفعله الآن ؟

تطلّع إليها متسائلًا ، فأكملت فى حزم :

ـ أن ترحل .. ارحل يا (رشدى) .. ارحل قبل فوات الأوان .

وكانت عبارتها صارمة حازمة ..

ومخلصة ..

* * *

انطلقت رصاصة رجل (الموساد) نحو (رءوف) تمامًا ، ولكن (رءوف) انحنى فى اللحظة المناسبة .

وسمع الرصاصة ، وهى تعبر فوق رأسه ، ثم اندفع نحو الرجل ، وهو يهتف :

ـ أخطأت الهدف أيها الوغد .

وكال للرجل لكمة كالقنبلة فى فكه ، مستطردًا :

ـ وليست لديك فرصة ثانية .

زلزلت اللكمة كيان الرجل ، ولكنه سقط دون أن يتخلّى عن مسدسه ، الذى حاول أن يرفعه مرة ثانية فى وجه (رءوف) ، وهو يقول فى غضب :

ـ من قال هذا أيها المصرى ؟

ركل (رءوف) المسدس من يده ، وهو يقول :

ـ أنا أقولها أيها الوغد .

ثم تراجعت قدمه فى سرعة وقوة ومهارة ، لتركل فك الرجل فى عنف ، وهو يضيف :

ـ ألديك مانع ؟

سقط الرجل فاقد الوعى ، فاعتدل (رءوف) ، وعدّل من ثيابه ، وهو يغمغم :

ـ لم أكن أتوقّع أن تبلغ الأمور هذا الحد .

واتجه فى هدوء إلى الهاتف ، فالتقط سمّاعته ، وضغط أزراره برقم خاص ، وانتظر حتى سمع صوت محدّثه ، فقال :

ـ إنه أنا يا (عولى) .. اسمعنى جيّدًا .. لقد حاول أحدهم قتلى .. نعم .. هنا فى حجرتى بالفندق .. لا .. لست أعرفه .. قل لى أوّلًا : ماذا حدث بشأن ذلك المصوّر ؟

قبل أن يسمع جواب (عولى) ، أتاه صوت من خلفه ، يقول فى غضب حانق :

ـــ لا داعى لمعرفة الجواب يا رجل ، فلن يسألك إياه أحد فى الجحيم .

ألقى (رءوف) سمّاعة الهاتف من يده ، واستدار فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على رجل (الموساد) ، الذى استعاد وعيه بسرعة عجيبة ، واستعاد معه مسدسه ، ووقف يصوّبه إلى (رءوف) ، وضوء القمر يتسلّل عبر النافذة خلفه ، ليصنع مع مسدسه مشهدًا مخيفًا ..

ولكن (رءوف) تحرّك بسرعة ..

أسرع مما توقّع رجل (الموساد) بكثير ..

لقد اندفع بغتة نحو الرجل ، وقفز إلى أعلى ، وأطلق صرخة قتالية قوية ، وهو يضرب الرجل بقدمه فى صدره ، بكل ما يملك من قوة ..

وتراجع جسد رجل (الموساد) فى عنف ..

وارتطم بالنافذة ..

وحطّم زجاجها ، و ..

وسقط ..

وجلجلت صرخة الرجل ، وهو يهوى من الطابق السادس ، من فندق (ريتز) ..

وخسر (الموساد) رجلًا ثانيًا ، فى تلك الليلة ..

ليلة الدم ..

* * *

عاد (رفعت) إلى شقته ، فى وقت متأخّر من تلك الليلة ، ولم يكد يدخلها ، حتى ألقى آلة التصوير على أوّل مقعد صادفه ، وهتف لنفسه فى إرهاق :

ـــ ياله من يوم !

وتثاءب فى صوت مرتفع ، ثم اتجه إلى حجرة النوم ، فأخرج منامته من الحقيبة ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، متجهًا إلى الحمام ..

وقبل أن يبلغ الحمام ، ارتفع رنين الهاتف ..

وفى أية ظروف أخرى ، كان (رفعت) سيتجاهل الهاتف تمامًا ، حتى يغتسل أوّلًا ، ولكنه فى هذه الظروف ، خشى أن تكون المحادثة هامة ، وتختص بمهمته الحساسة فى (باريس) ، فزفر مغمغمًا :

ـــ دائمًا فى الوقت غير المناسب .

واتجه نحو الهاتف ، ومدّ يده نحو سمّاعته ، و ..

ودوى انفجار فى الحى ..

انفجار كان مصدره شقة (رفعت) ..

وهاتفه بالذات .

* * *

٨ ـ الجميع ..

« ما الذى يحدث هنا يا (ريم) ؟ »

نطقها (رشدى) فى لهجة تجمع ما بين الضراعة والخوف والضيق ، وهو يتطلَّع إلى وجه (ريم) ، قبل أن يضيف فى مرارة :

ـ لماذا تطلبين منى الرحيل ؟

أطرقت برأسها بعض الوقت ، ثم زفرت فى حرارة ، وتطلَّعت إليه فى صمت ، جعله يكرِّر :

ـ لماذا يا (ريم) ؟

تمتمت :

ـ حتى أنقذك من خطر تجهله .

ارتفع حاجباه فى ذعر ، وهو يقول :

ـ خطر أجهله ؟! .. أى خطر هذا يا (ريم) ؟

فركت أصابعها فى توتر ، وحاولت الفرار من نظراته المباشرة ، وهى تقول :

ـ لن يمكننى أن أشرح لك الأمر يا (رشدى) ، ولكن يكفى أن تعلم أننى لست فى (باريس) ، بغرض عمل تقليدى ، كما سبق أن أخبرتك .

حدَّق فى وجهها بدهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا تقصدين ؟

فرَّت من نظراته أكثر ، وهى تجيب :

ـ إننى هنا فى مهمة خاصة ، ويمكنك أن تقول : إنها مهمة سرية .

ردَّد فى لهجة أقرب إلى الذهول :

ـ سرية ؟!

ثم خفض صوته كثيرًا ، وهو يسألها :

ـ لحساب من ؟

بدا لحظة أنها ستجيبه ، إلا أنها لم تلبث أن أطبقت شفتيها ، وبدا التردَّد على وجهها ، مما جعله يقول فى خفوت :

ـ هل أخطأت بسؤالى ؟

تردَّدت لحظة أخرى ، ثم أجابته فى همس :

ـ إنها مهمة لحساب الحكومة المصرية .

واعتدلت مضيفة فى سرعة :

ـ ولا يمكننى التصريح بأكثر من هذا .

تطلَّع إليها لحظة فى صمت ، وعيناه تنطقان بالكثير ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لن أرحل .

قالت فى ضيق :

ـ (رشدى) .. أرجوك .

كرَّر فى حزم أكثر :

ـ قلت لن أرحل .. سأبقى إلى جوارك ، حتى تنتهى مرحلة الخطر .

هتفت فى صوت خافت :

ـ خطأ يا (رشدى) .. ألم تفهم بعد ما أريد قوله ؟ .. إننى أعتقد اعتقادًا قويًا ، أن تعرّضك للقتل يعود إلى ظهورنا معًا ، أمام أولئك الذين أتيت للعمل ضدهم .

قال فى إصرار :

ـ هذا يزيد من ضرورة بقائى إلى جوارك .

خفق قلبها فى قوة مع كلماته ، وشعرت بعاطفة قوية تتسلل إلى قلبها تجاهه ..

كم هو رائع ..

إنها تميل إليه حقًا ..

تميل إليه كثيرًا ..

بل إنها تتمنى حقًا بقاءه إلى جوارها ، فى هذه الظروف العصيبة ..

وبكل العاطفة المشبوبة فى أعماقها ، قالت .

ـ (رشدى) .. إننى ..

قاطعها فى حسم :

ـ لا تقولى شيئًا .. إننى سأبقى .

لم تقل شيئًا بالفعل ، ولكن قلبها ابتسم فى سعادة ..

إنها ، وعلى الرغم من كل ما يحدث ، تتمنى أن يبقى (رشدى) إلى جوارها ..

وليحدث ما يحدث ..

* * *

وقف مفتش البوليس الفرنسى (مارتان) ، يتطلّع إلى ذلك الدمار ، الذى أصاب شقة (رفعت) ، وانقلبت شفتاه فى امتعاض ، وهو يقول :

ـ ياللهول ! .. إننا لم نشاهد هذا الأسلوب ، منذ زمن عصابات (مارسيليا) .

والتفت إلى شاب فرنسى ، انهمك فى فحص بقايا الهاتف ، وسأله :

ـ إنه هاتف ملغوم .. أليس كذلك ؟

أومأ الشاب برأسه إيجابًا ، واستخدم يديه لتوضيح الموقف ، وهو يقول :

ـ نفس الأسلوب القديم .. قنبلة متصلة بمعدّ الحرارة ، بحيث تنفجر فور رفع سمّاعة الهاتف .

هزّ (مارتان) رأسه متفهمًا ، وأدار رأسه إلى الناحية الأخرى ، يسأل :

ـ كان المفروض أن يقتلك هذا ، أليس كذلك ؟

أجابه (رفعت) فى ضيق ، وهو مستسلم لرجل الإسعاف ، الذى يضمّد جرح جبهته وكفه :

ـ بلى .. كان يمكن أن تقتلنى القنبلة ، ولكننى أخبرتك أننى تعثرت فى طرف سجادة الحجرة ، وسقطت مرتطمًا بالمائدة ، قبل أن أرفع سمّاعة الهاتف ، فسقطت المائدة مع الهاتف ، الذى سقطت عنه سمّاعته ، فحدث الانفجار ، ولولا أن سطح المائدة كان بينى وبين الهاتف ، لقتلنى ذلك الانفجار حتمًا .

مطّ (مارتان) شفتيه ، وقال :

ـــ لقد نجوت بمعجزة إذن .

غمغم (رفعت) :

ـــ يمكنك أن تقول هذا .

ضمّ (مارتان) شفتيه فى قوة ، وهو يعيد التطلّع إلى الشقة ، ثم التفت إلى (رفعت) بحركة حادة ، وسأله :

ـــ ولكن لماذا يحاول أحدهم قتلك ؟

هزّ (رفعت) كتفيه ، وقال :

ـــ وكيف لى أن أعرف ؟

عقد (مارتان) حاجبيه فى غضب ، وقال :

ـــ اسمع أيها المصرى .. صحيح أننى هادئ الطباع ، ولكننى أكره من يحاولون خداعى ، وخاصة لو أنهم ليسوا من الفرنسيين .. إنك تتحدّث الفرنسية فى طلاقة ، وتستأجر شقة على نحو دائم فى (باريس) ، وهذا يحتاج إلى الكثير من الثراء ، ثم يأتى أحدهم ويحاول قتلك ، فكيف تفسّر كل هذا ؟

مطّ (رفعت) شفتيه ، وهزّ كتفيه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـــ ربما كان الجواب الوحيد هو أننى ثرى .

سأله (مارتان) فى عدوانية :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابه فى هدوء :

ـــ إننى أحب عاصمتكم (باريس) ، ولدى من المال ما يكفى لاستئجار شقة فيها ، وزيارتها مرة أو مرتين فى العام ، وربّما حاول أحدهم

التخلّص منى ، ليرث ثروتى فى (القاهرة) .

لم يرق هذا التفسير لـ (مارتان) ، الذى عقد حاجبيه ، وهو يتطلّع إلى (رفعت) فى صمت وصرامة ، قبل أن يقول :

ـــ فليكن يا مسيو (رفعت) .. سأتقبّل تفسيرك هذا ؛ لأنه ليس لدى تفسير آخر ، ولكننى أريد منك أن تعلم ، أن الفرنسيين ليسوا بالغباء الذى تتصوّره ، وأننى سأفرض عليك رقابة شديدة ، طوال اليوم تقريبًا ، حتى تنتهى إقامتك لدينا هذه المرة .. هل تفهمنى ؟

أجابه (رفعت) فى برود :

ـــ نعم ، وإن كنت أرفض هذا الأسلوب .

قال (مارتان) فى صرامة :

ـــ افعل ما يحلو لك ، ولكن ..

قبل أن يتم عبارته ، قاطعه أحد رجاله ، قائلًا :

ـــ رسالة عاجلة من الإدارة يا سيّدى .

قالها ، وهو يمد يده إليه بجهاز اللاسلكى ، فالتقطه منه (مارتان) فى ضيق ، وقال :

ـــ هنا المفتش (مارتان) .

وضع الجهاز على أذنه ، ليستمع إلى محدثه وحده ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إليه ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـــ حسنًا .. سأصل على الفور .

وأنهى الاتصال ، وقال لـ (رفعت) فى صرامة ، وهو يعيد جهاز اللاسلكى إلى الرجل :

ـــ يبدو أنها ليلة المصريين .

لم يسأله (رفعت) عما يعنيه ، وإنما تركه ينصرف مع رجاله ، بعد أن استكملوا تحقيقهم معه ، ورفعوا ماشاء لهم من بصمات وأدلّه ، ثم اتجه إلى حجرة نومه ، والتقط سمّاعة الهاتف الصغير المجاور للفراش ، والذى أزال منه الخبراء قنبلة أخرى ، وأدار قرصه فى سرعة ، وانتظر حتى سمع صوت محدّثه ، فقال :

ـــ إنه أنا .. (رفعت) .. استمع إلىّ دون مقاطعة ، فمن المحتمل أن يكون هاتفى مراقبًا .. لقد تعرّضت لمحاولة قتل . وهذا يعنى أن الصراع قد اتخذ خطًا جديدًا ، وأنه من الضرورى أن تنتهى العملية بأقصى سرعة .. وداعًا .

أنهى الاتصال ، دون أن ينتظر جوابًا من الطرف الآخر ، وارتسمت على وجهه صرامة مخيفة ، وهو يقول لنفسه فى حزم :

ـــ نعم .. من الضرورى أن تنتهى العملية بأقصى سرعة .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

ـــ وأقصى قوة ..

* * *

اتسعت عينا (كاهان) فى ذهول ، وهو يتلقّى تقريرًا هاتفيًا من رجاله ، بما حدث عبر هذه الليلة ، وترك سمّاعة الهاتف تسقط من يده ، وهو يردّد :

ـــ فشلوا .. الجميع فشلوا فى مهماتهم .

مطّ (إيزاك) شفتيه فى ازدراء ، وارتشف رشفة من كأسه ، قبل أن يقول فى لهجة توحى بالاحتقار :

ـــ كنت أتوقّع هذا .

التفت إليه (كاهان) فى حدة ، وانعقد حاجباه فى غضب شديد ، وهو يقول :

ـــ ما الذى تعنيه بأنك كنت تتوقّع هذا ؟ .. لقد استخدمنا أفضل رجالنا فى هذه العملية ، وخطّطنا كل شىء ، كما يحدث فى كل مرة ، و ..

قاطعه (إيزاك) :

ـــ هذا بالضبط ما أعنيه .. أن كل شىء يحدث كما فى كل مرة .. هذا هو سبب فشلك يا (كاهان) .

قال (كاهان) فى حدة :

ـــ إننى لم أفشل من قبل .

ابتسم (إيزاك) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ لكل شىء بداية يا عزيزى (كاهان) ، كما أنك قد أصبحت عتيق الطراز ، وترفض الاعتراف بأن كل شىء يتطوّر ويتحسّن ، حتى أعمال المخابرات .

تضاعف غضب (كاهان) ، وهو يقول فى عصبية :

ـــ ماذا تقترح إذن أيها الذكى ؟

ارتشف (إيزاك) رشفة أخرى من كأسه ، وقال :

ـــ أقترح أوّلًا أن تترك لى قيادة هذه العملية .

اتسعت عينا (كاهان) ، وخيّل لـ (إليعازر) أنه سينفجر فى وجه

(إيزاك) ، أو يطلق عليه النار ، ولكنه فوجئ به يقول فى حدة :

ــ فليكن يا (إيزاك) .. إننى أترك لك قيادة العملية كلها .. أرنا ما ستفعله .

ابتسم (إيزاك) ، وقال :

ــ سأفعل الكثير .

قال (كاهان) فى سخرية غاضبة :

ــ بالوسائل الحديثة .

لوّح (إيزاك) بأصابعه ، وهو يقول :

ــ مزيج من القديم والحديث .

ثم التفت إلى (إليعازر) ، وقال فى حزم :

ــ أبرق إلى رجالنا فى (القاهرة) ، واطلب منهم جمع أكبر قدر من التحريات ، عن الرجال الثلاثة ، واطلب منهم إرسال ما يحصلون عليه بأقصى سرعة .

تطلّع (إليعازر) فى قلق إلى (كاهان) ، الذى هتف به فى عصبية :

ــ نفذ ما آمرك به .. هيا .

أسرع (إليعازر) يغادر الحجرة ؛ لتنفيذ أمر (إيزاك) ، الذى برقت عيناه فى ظفر ، وهو يجرع ما تبقّى من كأسه دفعة واحدة ، و (كاهان) يقول فى حدة :

ــ فلنر ما ستفعله أيها العبقرى .

ابتسم (إيزاك) فى زهو وغرور ، وهو يقول :

ــ سترى يا عزيزى (كاهان) .. سترى كيف يلعب (إيزاك) لعبة الجواسيس .

وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يضيف :

ــ وكيف ينتصر ؟

وعربدت ضحكة شيطانية فى عينيه ..

ضحكة مخيفة .

* * *

٩ ــ التحريات ..

دسّ المفتش (مارتان) كفيه فى جيبى سرواله الواسع ، ومطّ شفتيه كالمعتاد ، وهو يتطلّع إلى (رءوف ذهنى) ، قائلًا فى لهجة تبدو هادئة ، ولكنها تخفى خلفها ثورة داخلية عارمة :

ــ إذن فقد فوجئت بلصّ فى جناحك ، فتشاجرت معه ، وحاول قتلك ، ودافعت عن نفسك ، ودفعته ، فسقط من الطابق السادس .. أليس هذا ما قلته بالضبط ؟

أجابه (رءوف) فى هدوء مثير :

ــ بالضبط أيها المفتش .. إنها حالة دفاع عن النفس .

ردّد (مارتان) فى غضب :

ــ نعم .. دفاع عن النفس .

ثم استطرد فى حدة :

ــ كم مرة سمعت عن رجل دافع عن نفسه ، بإلقاء من يهدّده من الطابق السادس ؟

أجابه (رءوف) فى برود :

ــ اذكر لى اسم المراجع المطلوبة ، وسأخبرك بالجواب صباح الغد .

رمقه (مارتان) بنظرة غاضبة صارمة ، ثم قال :

ــ هل تعلم من أين أتيت يامسيو (رءوف) ؟ .. لقد قضيت ليلة مرهقة ، بأكثر مما تتصوّر .. ليلة حدثت فيها ثلاث محاولات لقتل ثلاثة من

المصريين ، الأوّل يدعى (رفعت) ، والثانى (رشدى) ، وأنت الثالث يا مسيو (رءوف) .

عقد (رءوف) حاجبيه فى شدة ، عندما سمع اسمى (رفعت) و (رشدى) ، فى حين مال (مارتان) نحوه ، وسأله فى دهاء :

ــ هل تعرف الاثنين الآخرين يا مسيو (رءوف) ؟

أجابه (رءوف) فى برود :

ــ ربّما .

اعتدل (مارتان) ، وظهر الغضب على وجهه ، وهو يقول :

ــ دعنى أنا أمنحك الجواب يا مسيو (رءوف) .. نعم .. إنك تعرفهما ، فقد تحريت أمركم ، مع وقوع الحوادث الثلاثة فى ليلة واحدة ، فأنا من طراز عتيق يا مسيو (رءوف) ، لا يؤمن بالمصادفات ، أو يقتنع بوجودها ، وهذا ما دفعنى لمراجعة أوراق ثلاثتكم .. ولقد جاءت النتيجة طريفة للغاية .. لقد وصلتم جميعًا عن متن نفس الطائرة .

قال (رءوف) ببروده المثير :

ــ حقًّا .

أجابه (مارتان) فى جدة :

ــ نعم يا مسيو (رءوف) .. هذا ما أسفرت عنه تحرياتى الأوّلية ، ومن المؤكّد أن التحريات التالية ستحمل أكثر وأكثر ..

قال (رءوف) ، فى لهجة تحمل الكثير من الضجر :

ــ فليكن .

كان هذا الأسلوب الاستفزازى يزيد من غضب (مارتان) ،

وثورته ، ولكنه بذل أقصى جهده ؛ للسيطرة على أعصابه ، وهو يميل نحو (رءوف) ، قائلًا :

ــ اسمع يا مسيو (رءوف) .. كلانا يعلم أن موقفك سليم قانونيًا ، وكلانا يعلم أيضًا أنه هناك ما تخفيه ، حتى يظلّ كذلك ، ولكننى لست مبتدئًا فى عملى ، فما يحدث الليلة ليس طبيعيًا ، ولو ربطناه بقدوم ثلاثتكم فى طائرة واحدة ، فسيعنى هذا أنها لعبة ..

ومال أكثر ، وهو يتفرّس فى ملامح (رءوف) ، مستطردًا :

ــ لعبة مخابرات .

ابتسم (رءوف) فى سخرية ، وقال :

ــ يا للذكاء ! .

تراجع (مارتان) فى حدة ، لرد الفعل الذى لم يكن يتوقعه ، وقال :

ــ هكذا ! .. فليكن إذن يا مسيو (رءوف) .. لقد أقسمت أن أفهم كل ما يحدث ، وأن أكشف القناع عمّا تفعلونه هنا ، ولن يهدأ لى بال ، حتى أضعكم جميعًا خلف القضبان .. هل تفهم ؟

ظلّ (رءوف) محتفظًا بابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ــ أفهم .

هتف (مارتان) :

ــ هيا بنا يا رجال .

واندفع يغادر الحجرة فى عصبية ، وتبعه رجاله فى سرعة ، تاركين (رءوف) وحده ، ولم يكد هو يجد نفسه كذلك ، حتى تلاشت ابتسامته الساخرة ، وانعقد حاجباه فى توتر ، وهو يقول فى نفسه :

ــ من الواضح أن الأمور قد تعقدت كثيرًا .

وشرد ببصره ، مستطردًا :

ــ وأنه من الضرورى أن تنتهى العملية .. وبسرعة ..

* * *

أشرقت الشمس فى الصباح التالى ، وعبر ضوءُها تلك النافذة الشرقية ، فى فيلا (كاهان) ، ليسقط على وجه (إيزاك) ، الذى تطلّع إلى الشمس فى تراخ ، ثم مد يده يدعك جفنيه فى إرهاق ، وعاد يلتقط بهما قلمًا أنيقًا ، ويواصل وضع بعض الخطوط ، فوق ورقة كبيرة ، ازدحمت بالأسماء والأرقام والخطوط ..

وارتفعت دقّات هادئة على باب الحجرة ، فوضع (إيزاك) قلمه ، وعاد يدعك جفنيه ، قائلًا :

ــ ادخل .

دلف (إليعازر) إلى الحجرة ، وهو يحمل قدح قهوة ، وضعه أمام (إيزاك) ، وهو يقول فى صوت خافت ، وكأنه يخشى تحطيم السكون المخيّم على الحجرة :

ــ القهوة التى طلبتها يا سيّدى .

التقط (إيزاك) قدح القهوة ، وارتشف منه رشفة سريعة ، ثم أعاده إلى موضعه ، وهو يسأل (إليعازر) :

ــ هل أوى (كاهان) إلى فراشه ؟

أجابه (إليعازر) :

ــ إنه يغطّ فى نوم عميق .

رفع (إيزاك) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ عجبًا !! .. لم أتصوّر أبدًا أنه سيستطيع النوم .

قال (إليعازر) :

ـــ لقد قضى ليلة مرهقة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـــ ثم إنه يستخدم أقراصًا منوِّمة .

ابتسم (إيزاك) قائلًا :

ـــ هكذا !

ثم أشار إلى (إليعازر) ، مستطردًا :

ـــ اجلس يا (إليعازر) .. أريد أن أتحدَّث إليك .

أطاعه (إليعازر) ، وهو يغمغم :

ـــ لقد أرسلت إلى رجالنا فى (القاهرة) ، أطلب منهم تحرِّى أمر الرجال الثلاثة ، ولكنهم لم يرسلوا ردودهم بعد .

قال (إيزاك) :

ـــ دعك من هذا .. إننى أريد رأيك .

هتف (إليعازر) فى دهشة :

ـــ رأيى أنا ؟!

أومأ (إيزاك) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم يا (إليعازر) .. إننا سنلعب معًا لعبة شهيرة ، تحمل اسم : (ماذا تفعل ، لو كنت مكانى) .

بدت الحيرة على وجه (إليعازر) ، فتابع (إيزاك) :

ـــ سنفترض أننا نحن رجال المخابرات المصرية ، ونريد أن نرسل أحد رجالنا ، لتصفية مكتب (الموساد) فى (باريس) ، فكيف نختار هذا الرجل ، وبأية هيئة نرسله ؟

ظلَّت الحيرة تكسو وجه (إليعازر) ، فاعتدل (إيزاك) ، وأخذ يشرح فكرته ، قائلًا :

ـــ إننا نعلم أن أحد الرجال الثلاثة رجل مخابرات بالغ الخطورة ، ولقد اختبرنا أسلوب الثلاثة ، أو على الأقل ما يحاولون إظهاره ، وبقى أن نسأل أنفسنا ، من منهم يمكن أن يكون رجل المخابرات المنشود ؟

قال (إليعازر) فى حماس :

ـــ كلهم .

ابتسم (إيزاك) ، وقال :

ـــ هذا مستحيل كما تعلم .. إنه أحدهم فحسب ، ولكن دعنا نضع قواعد التخفِّى ، التى ينبغى أن يتبعها عميل سرى كهذا .. المفروض أن يخفى شخصيته الحقيقية بالطبع ، وأن يحيط نفسه بالتغطية المناسبة ، بحيث لا يلفت انتباهنا ، و ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف :

ـــ يا للشيطان ! .. إنه هو بالطبع .

واجتاح الانفعال صوته وجسده ، وهو يستطرد :

ـــ لقد عرفته .. عرفت رجل المخابرات المطلوب يا (إليعازر) .

انتقلت عدوى الانفعال إلى (إليعازر) ، الذى هب من مقعده ، هاتفًا :

ـــ من هو يا سيِّدى .. اخبرنى ، وسيلقى مصرعه بعد ساعة واحدة .

برقت عينا (إيزاك) ، وهو يقول :

ـــ لا يا (إيزاك) .. لن نقتله .. أريد أن ألقِّن (كاهان) العتيق هذا درسًا ، فى كيفية أداء اللعبة .. إننا سنلقى القبض على رجل المخابرات المصرى يا (إليعازر) .. وسنحضره إلى هنا .. وعلى قيد الحياة .

وانطلقت من حلقه ضحكة ظافرة ..

* * *

على الرغم من دقة موقفها ، وصعوبة مهمتها ، كانت (ريم) تشعر بارتياح بالغ ، عندما استيقظت هذا الصباح ، حتى أن ابتسامتها تألقت على وجهها ، وهى تغادر فراشها ، وتغتسل ، وتبدأ فى ارتداء ثيابها ..

وفى هذه المرة راحت تنتقى ثوبها فى عناية ..

وبعد نصف ساعة من التردّد ، اختارت ثوبًا أزرق ، له حزام أبيض كبير ، بدا رائعًا على جسدها الجميل ، وتصفيفة شعرها الأنيقة ، وابتسمت فى سعادة ، وهى تتطلّع إلى نفسها فى المرآة ، ثم اتجهت إلى الهاتف المجاور لفراشها فى مرح ، وطلبت رقمًا قصيرًا ، لحجرة أخرى فى نفس الفندق ، ولم يكد الرنين يبدأ ، حتى التقط صاحب الحجرة الأخرى سمّاعة هاتفه ، وقال فى لهفة :

ــ أنا (رشدى) .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وكأنها تقف أمامه مباشرة ، وقالت :

ــ هل استيقظت ؟

أجابها فى لهفة :

ــ إننى أنتظر استيقاظك أنت بفارغ الصبر .

أسعدتها عبارته ، وسألته فى حياء :

ــ ما رأيك فى هذا الفندق ؟ .. أهو أفضل من فندقك السابق ؟

أجابها فى هيام :

ــ إنه أعظم فندق فى العالم كله ، مادمت تقيمين فيه .

عاد وجهها يتضرّج بحمرة الخجل ، وهى تقول :

ــ هذا يسعدنى .

أدهشها أنها تتعامل معه بهذا الأسلوب ، وكأنها مراهقة صغيرة ، ينبض قلبها ، بالحبّ لأوّل مرة ، وهى التى اعتادت مواجهة المخاطر والصعاب ، و ..

وانتزعت نفسها من هذا الاستنكار الداخلى ، لتضيف فى خفر :

ــ هل ستهبط لتناول طعام الإفطار ؟

أجابها فى لهفة :

ــ نعم .. سنلتقى فى قاعة الطعام بعد خمس دقائق .. أتوافقين ؟

قالت فى خفوت :

ــ بالطبع .

نطقتها وقلبها ينبض فى قوة ، ثم أسرعت تلقى نظرة أخرى على ثوبها فى المرآة ، وغادرت حجرتها فى لهفة حقيقية للقاء (رشدى) ..

إنها تحبه ولا شك ..

تحب طيبته وبساطته وحنانه ..

تحب فيه كل ما تمنته فى فارس أحلامها ، منذ كانت صبية صغيرة ..

وعندما استقلّت المصعد ، كانت تشعر أنها قد ارتدّت بالفعل مجرّد صبية صغيرة ..

ولم يكد المصعد يصل إلى الطابق الأرضى ، حتى غادرته فى لهفة ، وأدارت عينيها فى المكان ، بحثًا عن (رشدى) ..

ورأته ..

رأته يبتسم فى سعادة ، ويتجه إليها فى لهفة ..

وفجأة اعترض طريقه رجل ضخم ..

ولم تخطئ عيناها المشهد ..

لقد رأت ذلك المسدس ، الذى دسّه الضخم فى معدة (رشدى) ، وهو يقول شيئًا ما ، جعل وجه (رشدى) يحتقن فى شدة ، وهو يتطلّع إليها فى قلق ..

وتحرّكت (ريم) فى سرعة نحو (رشدى) والرجل الضخم ، وانعقد حاجباها فى غضب صارم ، ولكن (رشدى) هتف بها فى توتر :

ــ لا يا (ريم) .

والتفت إليها الضخم فى عدوانية وشراسة ، فأضاف (رشدى) :

ــ لا تقتربى يا (ريم) ..إنه يطلب منى الانصراف معه فحسب .

قالت (ريم) فى صرامة :

ــ لن يمكنه أن يؤذيك هنا يا (رشدى) .

ضغط الضخم فوهة مسدسه فى معدة (رشدى) ، وهو يقول فى وحشية :

ــ هل تراهنين ؟

هتفت :

ــ إذن فأنت تتحدّث العربية .

تمتم (رشدى) فى توتر :

ــ كيف تتصوّرين أننى فهمت عبارته إذن ؟

قالت فى حدة :

ــ على أى الأحوال . لن أسمح له باختطافك أمام عينىَّ هكذا .

تلفَّت (رشدى) حوله فى قلق ، ثم خفض صوته ، وهو يقول :

ــ أرجوك يا (ريم) .. تدخلك سيؤدى إلى كارثة .. إننى أعلم ما سأفعله .. أرجوك .. إنه سيطلق النار على الأبرياء دون تردّد .. صدقينى .. أنا أعرف هذا الطراز جيّدًا .

تردَّدت لحظة ، وقالت فى حدة :

ــ لا يمكننى يا (رشدى) .

ولكنها شعرت فجأة بإبرة محقن تغوص فى ذراعها ، مع صوت يقول بالفرنسية من خلفها :

ــ ألا يمكنكن طاعة الأوامر أبدًا أيتها النساء ؟

أرادت أن تصرخ ، ولكن الأرض مادت بها ، وأظلمت الدنيا أمام عينيها ، وسقطت فاقدة الوعى ، فى الوقت الذى هتف فيه الرجل المتحدِّث بالفرنسية :

ــ أسرعوا فى طلب طبيب .. لقد فقدت السيِّدة وعيها .

ثم أمسك ذراع (رشدى) ، ودفعه أمامه ، قائلًا فى صرامة :

ــ هيا بنا .

ألقى (رشدى) نظرة قلقة على (ريم) ، التى ألتفّ حولها رواد الفندق وموظفوه ، يحاولون إسعافها ، وسأل الرجل المتحدِّث بالعربية ، والرجلان يدفعانه نحو سيارتهما ، المتوقفة أمام الفندق :

ــ ماذا فعلتما بها ؟

أجابه الرجل فى صرامة :

ــ اطمئن .. إنه مخدِّر قوى فحسب .

تنهَّد فى ارتياح ، وتركهما يضعانه داخل السيارة ، ثم ينتقل الفرنسى لقيادتها ، فى حين جلس الناطق بالعربية إلى جواره ، وألصق فوهة مسدسه بجانبه ، قائلًا :

ــ لم أكن أتوقَّع استسلامك بهذه البساطة .

سأله (رشدى) فى قلق واضح :

ــ ماذا كنت تتوقَّع ؟

أجابه الرجل بالفرنسية ، فهزَّ (رشدى) رأسه ، وقال :

ــ معذرة .. لست أفهم الفرنسية .

ابتسم الرجل فى سخرية ، وقال بالعربية :

ــ لا داعى للتظاهر بهذا يا رجل .. لقد كشفنا أمرك .. كشفناه يا رجل المخابرات المصرية .

ولم يعترض (رشدى) ..

لم يعترض أبدًا .

* * *

١٠ ـ الدليل ..

انطلق (رءوف) بالسيارة الأنيقة ، التى استأجرها ، فور وصوله إلى (باريس) ، وتطلّع فى اهتمام إلى مرآة السيارة ، وهو يغمغم لنفسه :

ـ من الواضح أنها مراقبة ، فتلك السيارة لم تتوقّف عن مطاردتى ، منذ غادرت فندق .

واصل سيره عبر الطريق الرئيسى فى هدوء ، حتى اقترب من تقاطع طرق كبير ، فانحرف بالسيارة يسارًا ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. فلنثبت لهؤلاء الأوغاد أننا أكثر مهارة منهم .

وفجأة انحرف يمينًا ، وتجاوز الطريق فى سرعة ، وسمع أكثر من نفير احتجاج ينطلق خلفه ، ولكنه تجاهل كل هذا ، ودلف إلى طريق جانبى ضيق ، ومرق عبره فى سرعة ، ثم انحرف يسارًا مرة أخرى ، وعاد إلى طريق رئيسى آخر ، فابتسم فى ثقة وسخرية ، وهو يتطلّع إلى مرآة السيارة ، قائلًا :

ـ هكذا أفلتنا من المطاردة .

وأوقف سيارته على جانب الطريق ، وغادرها فى سرعة ، وأسرع نحو طريق جانبى آخر ، وعبره فى خطوات أقرب إلى العدو ، قبل أن يتجاوزه إلى طريق آخر ، رفع يده يستوقف فيه واحدة من سيارات الأجرة ، وقفز داخلها ، وهو يلقى العنوان المنشور لسائقها بالفرنسية ، واسترخى داخلها ، وهو يبتسم ساخرًا ، متمتمًا :

ـ أراهن أننى أفلتّ من المراقبة تمامًا .

بدا هادئًا واثقًا ، وهو يسترخى فى الأريكة الخلفية للسيّارة فى صمت وسكون ، حتى بلغت سيارة الأجرة العنوان المطلوب ، فغادرها (رءوف) ، ودخل بناية ضخمة ، حمله مصعدها إلى الطابق العاشر ، حيث استقبله فى أحد شققه رجل متين البنيان ، أكرت الشعر ، ابتسم وهو يصافحه فى حرارة ، قائلًا :

ـ مرحبًا يا (رءوف) .. لم أتوقّع وصولك فى الموعد المحدود .

صافحه (رءوف) ، وابتسم بدوره ، وهو يقول :

ـ لم يكن ذلك سهلًا يا (عونى) .

خلع معطفه ، وألقاه على أوّل مقعد صادفه ، ثم اتجه فى خطوات سريعة إلى النافذة ، وتوارى خلف ستارتها ، وهو يزيحها جانبًا فى حرص ، ويلقى نظرة على الطريق ، فسأله (عونى) فى قلق :

ـ هل طاردك أحدهم ؟

أجابه (رءوف) :

ـ اطمئن .. لقد أفلتّ منهم .

سأله (عونى) :

ـ أأنت واثق ؟

أجابه فى حزم ، وهو يعيد الستارة إلى موضعها :

ـ تمام الثقة .

تنهّد (عونى) فى ارتياح ، وأشار إليه بالجلوس ، قائلًا :

ـ فى (القاهرة) يشعرون بالقلق ، بسبب محاولة القتل هذه .

هزَّ (رءوف) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ دعك من هذا ، وأخبرنى .. هل يمكن إنهاء العملية الليلة ؟

عقد (عونى) حاجبيه ، وقال :

ــ لماذا ؟ .. أبسبب محاولة القتل ؟

أومأ (رءوف) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ محاولة القتل فى حد ذاتها ، تعنى أن بعضهم كشف أمرنا ، ويرغب فى إزاحتنا عن الطريق ، ولكن هذا لا يقلقنى ، فهو أحد صور التنافس فى عالمنا ، ولكن أحد مفتشى الشرطة هنا يحاول البحث عن دليل ، يؤكِّد تورّطى فى عمل غير مشروع ، وأظن السيارة التى طاردتنى سيارة شرطة ، تتبع له ، وهذا يعرِّض عمليتنا لمخاطر لا داعى لوجودها ، وأفضل وسيلة لتفادى هذه المخاطر ، هى أن ننهى العملية بأسرع ما يمكن .

احتفظ (عونى) بحاجبيه المعقودين ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، وقال فى حسم :

ــ لا يمكننى إجابة هذا السؤال ، قبل استشارة (القاهرة) .

أشار (رءوف) إلى الهاتف ، قائلًا :

ــ استشرهم إذن .

تطلَّع إليه (عونى) لحظة فى تردّد ، ثم قال :

ــ ولِمَ لا ؟

واتجه إلى الهاتف ، والتقط سمّاعته ، وقال وهو يضغط أزراره :

ــ هذا سيدهش الآخرين ، وسيثير ارتباكهم .

ابتسم (رءوف) ، وقال :

ــ لن يدهشنى هذا .

مطَّ (عونى) شفتيه ، وارتسمت على وجهه علامات القلق ، ولكنه لم يلبث أن اعتدل ، وقال فى احترام :

ــ صباح الخير يا سيِّدى .. أنا (عونى) .

استمع إلى محدِّثه فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ــ لا ..لم يحدث أى أمر آخر .. (رءوف) بخير ، وهو يجلس هنا أمامى .

ومال إلى الأمام ، وخفض صوته ، وهو يستطرد :

ــ إنه يطلب إتمام العملية الليلة .. نعم .. لديه مبرِّراته بالطبع .

نقل إلى محدِّثه كل المبرِّرات ، التى ساقها إليه (رءوف) ، وأضاف إليها رأيه الشخصى ، ثم استمع إلى محدِّثه فى اهتمام بالغ ، وأخيرًا ابتسم ، قائلًا :

ــ شكرًا يا سيِّدى .. هذا قرار حكيم بالتأكيد .

وأنهى الاتصال ، ثم التفت إلى (رءوف) ، وضمَّ قبضته ، ورفع إبهامه ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ ابتهج يا رجل .. لقد وافقت (القاهرة) ، على إتمام العملية الليلة .

ابتسم (رءوف) ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

ــ كنت أعلم أنهم سيوافقون .

ونهض من مقعده فى حماس ، فسأله (عونى) :

ــ إلى أين ؟

أجابه فى ثقة هادئة :

ــ إلى العمل يا رجل .. إلى اللقاء .

وغادر المكان فى سرعة ، جعلت (عونى) يتسم ويغمغم :

ــ ياله من رجل !

ثم عاد إلى عمله ، وهو يعلم أن (رءوف) سيواجه الليله مخاطر عظيمة ..

وضخمة ..

* * *

التقط (رفعت) صورة واضحة ، لذلك الشخص ، الذى يراقبه منذ الصباح ، وابتسم لنفسه قائلًا :

ــ عظيم .. كل شىء يسير على ما يرام .

ثم أطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا كالمعتاد ، وهو يستقل سيارته ، عائدًا إلى شقته ، ولم يكد يبلغها حتى لمح (مارتان) أمام البناية ، يستند إلى سيارته ، والغضب يملأ ملامحه فى وضوح ، فلم يكن من (رفعت) إلا أن أوقف سيارته إلى جواره ، وقال فى هدوء :

ــ صباح الخير أيها المفتش .

لم يجب (مارتان) التحية على الفور ، وإنما تطلّع إلى (رفعت) فى غضب ، قبل أن يقول فى عصبية واضحة :

ــ أهنئك يا مسيو (رفعت) .

غادر (رفعت) سيارته ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ على ماذا ؟

أجابه فى حدة :

ــ على نجاحك فى الإفلات من المراقبة .

رفع (رفعت) حاجبيه ، فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ــ مراقبة ؟! .. أكانت هناك مراقبة حقًا ؟

تجاهل (مارتان) تلك النبرة الساخرة ، فى صوت (رفعت) ، وسأله :

ــ أين تعلّمت الإفلات من المطاردات يا مسيو (رفعت) ؟

أجابه (رفعت) فى رصانة ساخرة :

ــ الأمر يعود إلى كثرة الديون ، و ..

قاطعه (مارتان) فى حدة :

ــ فليكن .

ابتسم (رفعت) ، وهو يقول :

ــ أنت الذى يسأل .

قال (مارتان) فى حدة :

ــ لقد سئمت أسلوبكم هذا ، الذى يؤكّد ظنونى بشأن وجود أمر مريب ، وأؤكد لك أننى سألقى القبض عليكم جميعًا ، عندما أضع يدى على الدليل ، و ..

قاطعه (رفعت) :

ــ معذرة أيها المفتش ، هل سنمضى اليوم كله فى الاستماع لنصائحك ومحاضراتك .. أعنى أن لدى الكثير من الأعمال ، و ..

هتف (مارتان) بكلمته التقليدية :

ــ فليكن .

ثم اندفع نحو سيارته ، مستطردًا :

ــ من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا .

وأدار محرّك سيارته ، لينطلق بها فى عصبية واضحة ، مما جعل (رفعت) يعقد حاجبيه ، مردّدًا فى توتر :

ــ هذا لو كان هناك ما يدعو إلى الضحك أيها المفتش .

وصعد إلى شقته ، وهو يشعر أن الليلة ستحمل الكثير من القلق .. ومن الخطر ..

* * *

فتحت (ريم) عينيها فى صعوبة ، وتطلّعت لحظات إلى تلك الوجوه المحيطة بها ، قبل أن يستعيد ذهنها تفاصيل الموقف كله ، فاتسعت عيناها فى ذعر ، وهتفت :

ــ (رشدى) .. أين (رشدى) ؟

امتدّت يد طبيب تربّت على كتفها ، وصاحبها يقول بالفرنسية :

ــ اهدئى يا بنيتى .. اهدئى .. كل شىء على ما يرام .

صاحت به بفرنسية مماثلة :

ــ أين (رشدى) ؟

سألها فى حيرة :

ــ من (رشدى) هذا ؟

هتفت :

ــ الشاب الذى كان بصحبتى .. عندما ..

لم تجد ماتتم به عبارتها ، فلم يكن ذلك الجزء من ذاكرتها ، الخاص بفقدانها الوعى ، قد استيقظ تمامًا بعد ، مما جعلها تكرر فى مرارة :

ــ أين هو ؟

ربّت الطبيب على كتفها مرة أخرى ، وقال :

ــ لم يكن هناك أحد بصحبتك يا بنيتى ، عندما سقطت .

قالت فى حدة :

ــ ولكننى واثقة .

أومأ برأسه متفهمًا ، وقال :

ــ هذا من تأثير العقار .

سألته فى دهشة :

ــ أى عقار ؟

أجابها فى وضوح ، وهو يتطلّع إليها بنظرة عتاب :

ــ العقار المخدّر ، الذى أدى إلى فقدانك الوعى .. إنه عقار قوى ، يُسبّب لمتعاطيه فقدان الشعور بالزمان والمكان ، ويفسد ذاكرته ومشاعره ، و ..

مطّ شفتيه ، وهو يرمقها بنظرة خاصة ، مستطردًا :

ــ وفى النهاية يدمّر متعاطيه تمامًا .

حدّقت فى وجهه لحظات فى دهشة وحيرة ، ثم هتفت فى غضب :

ــ إنك تتحدّث كما لو كنت مدمنة مخدرات .

أشاح بوجه عنها ، وهو يقول :

ـ تحليل الدم أثبت وجود نسبة كبيرة من عقار مخدِّر قوى ، وهذا يعنى سوى ..

قاطعته فى توتر :

ـ أريد إجراء محادثة هاتفية .

ابتسم قائلًا :

ـ لا داعى للقلق .. إننا لم نبلغ الشرطة ، ولن ..

قاطعته مرة أخرى فى حدة :

ـ أرجوك .. أريد إجراء محادثة هاتفية .

أشار إلى الهاتف المجاور لفراشها ، قائلًا :

ـ ومن يمنعك ؟

التقطت سمَّاعة الهاتف فى لهفة ، وضغطت أزراره فى سرعة ، فى حين انصرف الطبيب بصحبة الممرضة ، وهو يقول لهذه الأخيرة :

ـ ستبقى تحت المراقبة لست ساعات أخرى ، وبعدها يمكنها الانصراف .. بعد سداد رسوم المستشفى بالطبع .

لم تسمع (ريم) هذا ، ولم تنتبه إليه ، وهى تتحدَّث عبر الهاتف ، قائلة :

ـ أنا (ريم) .. لا .. لست أتحدَّث من الفندق ، بل من المستشفى .. سأشرح لك كل شىء فيما بعد .. المهم .. هل تذكر ذلك الشاب ، صاحب الوجه الطفولى ، الذى كان يجادل شرطى المرور ، فى (الشانزليزيه) ؟ .. لقد اختطفوه .. نعم .. اختطفوه .. إنهم يتصوَّرون أنه يعمل لحسابكم بالتأكيد .. لابد من إنقاذه .. لابد .

كان قلبها يرتجف بين ضلوعها ، وهى تهتف بالعبارة ، وعقلها يلقى على مشاعرها سؤالًا واحدًا لا يتغير ..

أين (رشدى) .. الآن ؟ ..

أين ؟ ..

* * *

تألَّقت عينا (إيزاك) ببريق ظافر ، وهو يتطلَّع إلى (رشدى) ، الذى جلس على مقعده مرتجفًا متوترًا ، يدير عينيه فى المكان فى خوف واضح ، فى حين عقد (كاهان) حاجبيه ، وهو يتطلَّع إلى (رشدى) بدوره ، قبل أن يلتفت إلى (إيزاك) ، قائلًا :

ـ إنه لا يبدو لى أبدًا كرجل مخابرات بالغ الخطورة .

نفث (إيزاك) دخان سيجارته ، وهو يقول :

ـ إنه يحسن تمثيل دوره فحسب .

ثم التفت إلى (رشدى) ، قائلًا :

ـ أليس كذلك يا رجل ؟

تطلّع إليه (رشدى) فى حيرة ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيّدى .. إننى أجهل الفرنسية .

ابتسم (إيزاك) فى سخرية ، وقال :

ـ أما زلت تصرّ على التظاهر بالغباء ؟

ثم أردف بالعربية :

ـ فليكن .. هل تفهم هذه اللغة ؟

ازدرد (رشدى) لعابه فى وضوح ، وهو يقول :

ـ نعم يا سيّدى .. أفهمها .

التقط (إيزاك) نفسًا عميقًا من سيجارته ، ونفثه فى عمق ، قبل أن يلتفت إلى (رشدى) ، قائلًا فى ثقة :

ـ اسمح لى أوّلًا بتهنئتك يا رجل ، فلقد نجحت فى خداعنا طويلًا ، حتى تصوّرنا أنك بالفعل مجرّد تاجر خردوات بسيط ، يسعى لعقد صفقة مربحة فى (باريس) .

غمغم (رشدى) مرتبكًا :

ـ ولكننى كذلك بالفعل يا سيّدى .

لوّح (إيزاك) بيده ، وقال :

ـ قلت لك لا داعى لمواصلة الخداع .. لقد كشفت أمرك تمامًا .. إنك بالفعل شديد البراعة ، ولكنك لن تخدع رجلا مثلى .. أنا أعلم أنك رجل المخابرات المصرى ، وأنك تفهم اللعبة جيدًا ، بدليل إنقاذك لـ (رفعت) فى (الشانزليزيه) .

غمغم (رشدى) :

ـ لقد تعثّرت ، و ..

قاطعه (إيزاك) :

ـ هذا ما أردته أن يبدو للآخرين ، ولكن الواقع أنك تظاهرت بهذا ، لتدفعه بعيدًا عن مرمى النيران .

قال (رشدى) ، فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ وكيف لى أن أعلم ، أن أحدهم ينوى إطلاق النار عليه ؟

تجاهل (إيزاك) هذا الاعتراض تمامًا ، وقال :

ـ ثم خدعت رجلنا ، الذى حاول قتلك ، وجعلته يطعن صندوق الكهرباء بدلًا منك .

بدا (رشدى) أقرب إلى الانهيار ، وهو يقول :

ـ كانت مجرّد مصادفة .

قهقه (إيزاك) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

ارتفع فى تلك اللحظة رنين الهاتف ، فالتقط (إليعازر) سمّاعته ، وقال بصوته الأجش الغليظ :

ـ هنا المكتب الثقافى الإسـ ...

وبتر عبارته ، ليستطرد فى لهفة :

ـ نعم يا (داوود) .. إننا ننتظرك بفارغ الصبر .

والتفت إلى (إيزاك) ، قائلًا :

ـ إنهم رجالنا فى (القاهرة) .. لقد حصلوا على المعلومات اللازمة .

قال (إيزاك) فى انفعال :

ـ مرهم بإرسالها بـ (الفاكسميلى) على الفور .

ثم رمق (رشدى) بنظرة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

ـ وليبدءوا بمعلوماتهم عن (رشدى كامل) .

ازدرد (رشدى) لعابه فى وضوح مرة أخرى ، وبدا شديد التوتر ، وهو يتطلّع إلى جهاز (الفاكسميلى) ، الذى ضغط (إليعازر) أزراره ، وجلس ينتظر الجواب ..

وفى بطء ، ظهرت ورقة كبيرة عبر (الفاكسميلى)(*) ، التقطها (إيزاك) فى لهفة ، وألقى نظرة سريعة على محتوياتها ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويختطف سمّاعة الهاتف من يد (إليعازر) ، قائلًا فى انفعال :

ـ أأنت واثق من هذه المعلومات يا (داوود) ؟

بدا التوتر على ملامحه أكثر ، وهو يستمع إلى الجواب ، مما دفع (كاهان) إلى سؤاله :

ـ ماذا هناك ؟

أزاح (إيزاك) السمّاعة عن أذنه ، وقال فى انفعال واضح :

ـ مفاجأة .. مفاجأة مذهلة .

وكان على حق .

* * *

(*) الفاكسميلى : جهاز لنقل الصور والرسائل والأوراق ، عبر أسلاك الهاتف .

١١ ـ المفاجأة ..

لم يكد (رءوف) يوقف سيارته أمام فندق (ريتز) ، حتى ظهر أمامه المفتش (مارتان) ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا مسيو (رءوف) .. كيف حال سيارتك الأنيقة ؟

أجابه (رءوف) فى برود ، وهو يغادر السيارة ، ويسلّم مفاتيحها إلى عامل الفندق :

ـ لِمَ لا تطرق الأمر مباشرة أيها المفتش ؟

كان (مارتان) يتوقّع هذا الأسلوب الهجومى ، لذا فقد احتفظ بهدوء أعصابه ، وهو يقول :

ـ فليكن يا مسيو (رءوف) .. هلّا أخبرتنى ، لماذا هربت من المراقبة هذا الصباح ؟

أجابه (رءوف) فى لامبالاة ، وهو يتجه إلى بهو الفندق :

ـ إننى أكره كونى مراقبًا ، ثم إنك لا تملك الحق فى مراقبتى ، فأنا المجنى عليه لا الجانى ، وسأتقدّم بشكوى إلى رؤسائك .

قال (مارتان) ، وهو يتبعه إلى المصعد :

ـ تقدّم بالشكوى التى تحلو لك يا مسيو (رءوف) ، فأنا أؤدى واجبى ، أما كونك المجنى عليه أو الجانى ، فهذا ما ستثبته التحريات .

التفت إليه (رءوف) بحركة حادة ، وقال فى صرامة :

ـ اسمع أيها المفتش .. إننى رجل أعمال ، وأنا هنا لعقد صفقات

خاصة ، تتجاوز أقلّها مرتبك فى قرن كامل ، وتتبعك الدائم لى يثير أعصابى ، وقد يتسبَّب فى خسارة صفقاتى ، مما سيمنحنى الحق فى مقاضاتك .

سأله (مارتان) فى اهتمام :

ــ ومانوع هذه الصفقات ؟

تطلّع إليه (رءوف) فى برود ، وقال :

ــ مخدرات .. أيروق لك هذا الجواب ؟

أجابه (مارتان) فى برود مماثل :

ــ كثيرًا .

ثم استدار ، ولوّح بكفه ، مستطردًا :

ــ ولكن لاتجعل المراقبة تقلقك كثيرًا ، فهى ستستمر ، حتى آخر لحظة لك هنا .

ابتسم (رءوف) فى سخرية ، وهو يقول لنفسه :

ــ لن يطول هذا كثيرًا .

واستقلّ المصعد فى هدوء ، وعقله يرتب الأمور ، ويضع حساباته للضربة الكبرى ، فى منتصف الليل ..

الضربة الأخيرة ..

* * *

ارتفع حاجبا ممرضة المستشفى فى دهشة ، وهى تحدّق فى (ريم) ، التى ارتدت ثيابها ، واستعدّت للخروج ، وهتفت بها :

ــ خطأ يا مدموازيل .. غير مسموح لك بالانصراف ، قبل الثالثة .

أزاحتها (ريم) عن طريقها ، وهى تقول فى صرامة :

ــ اضبطى ساعتك إذن ، فلن أبقى لحظة واحدة بعد الآن .

جرت الممرضة خلفها ، فى ممرات المستشفى ، هاتفة :

ــ إنك ستتسببين فى إيذائى ، فالطبيب لن يسمح بهذا .

لوّحت (ريم) بكفها ، هاتفة :

ــ فليذهب إلى الجحيم .

توقّفت الممرضة فى يأس ، وهى تهتف :

ــ وماذا عن رسوم المستشفى ؟

ظهر شاب فى نهاية الممر ، يقول فى هدوء :

ــ لقد تمّ سدادها ، وها هوذا الإيصال ..

هتفت (ريم) ، وهى تسرع نحو الشاب :

ــ (علاء) .. حمدًا لله أنك أتيت .. أخبرنى .. هل توصلتم إلى شىء ، بخصوص (رشدى) ؟

أجابها فى هدوء ، وهو يسير إلى جوارها ، فى خطًا سريعة ، إلى خارج المستشفى :

ــ ليس بعد ، ولكننى أظنه بخير .

سألته فى حدة :

ــ ولماذا تظن هذا ؟ .. أنسيت أنهم حاولوا قتله من قبل ؟

مطّ شفتيه ، وقال :

ــ لست أدرى لماذا حاولوا ، ولكن الأمور ليست كما تتصورين على الأقل .

سألته فى توتر :

ــ ماذا تعنى ؟

ابتسم وهو يجيب :

ــ أعنى أن كل شىء يسير على مايرام ، بالنسبة لخطتنا .

صاحت :

ــ على الرغم من كل هذا ؟

أجابها فى هدوء :

ــ نعم .. إنهم لم يشكّوا فى أمرك على الأقل ، وهذا أهمّ ما فى الأمر .

قالت فى غضب :

ــ لم يشكّوا فى أمرى ؟! .. كيف تفسّر ما حدث لـ (رشدى) إذن ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ــ مجرّد خطأ .

صاحت مستنكرة :

ــ خطأ ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. مجرّد خطأ .

وعلى الرغم من ثقتها به ، وبكل ماينتمى إليه ، فقد شعرت مع كلماته بالقلق ..

القلق الشديد ..

* * *

سرت انتفاضة عجيبة فى جسد (كاهان) ، وهو يسأل (إيزاك) فى قلق :

ــ أية مفاجأة هذه ؟

أجابه (إيزاك) بالفرنسية فى عصبية :

ــ هذه الأوراق تقول .. إن ذلك الرجل تاجر خردوات فى (الموسكى) بالفعل .

غمغم (كاهان) ، فى لهجة خلت ــ تقريبًا ــ من أى انفعال :

ــ حقًا ؟!

لوّح (إيزاك) بالأوراق ، وهو يهتف فى عصبية :

ــ هناك خطأ حتمًا .. أنا واثق بأن هذا الرجل هو من نبحث عنه .

أجابه (إليعازر) فى تردّد :

ــ لا توجد أخطاء يا سيّدى .. (داوود) شديد الدقة والحرص ، فى مثل هذه الأمور .

صاح (إيزاك) :

ــ لقد أوقع به المصريون إذن ، وهم الذين أجبروه ، على إرسال مثل هذا التقرير ، لتغطية رجلهم .

أجابه (كاهان) :

ــ مستحيل ، فلو أن هذا ماحدث ، لأرسل (داوود) الكلمة المتفق عليها ، فى بداية التقرير ، والتى تشير إلى ماحدث ، وإلى أنه يرسل تقريره مرغمًا ، أو تحت التهديد .

صاح (إيزاك) فى حدة :

ــ ربّما أجبروه على عدم إرسالها .

قال (كاهان) فى صرامة :

ــ هذا مستحيل أيضًا ، فهى كلمة عادية للغاية ، لا يمكن لسوانا

ملاحظتها ، أو فهم مغزاها .

بدا الغضب والحنق على وجه (إيزاك) ، والتفت فى عصبية إلى (رشدى) ، الذى أطلت الحيرة من عينيه ، وهو ينقل بصره بين وجوه الجميع فى قلق ، فهتف به (إيزاك) بالفرنسية :

ــ لقد نجح رفاقك فى تغطيتك .. أليس كذلك ؟

ارتجفت الكلمات مرة أخرى ، على شفتى (رشدى) ، وهو يقول :

ــ أرجوك يا سيِّدى .. لست أفهم حرفًا واحدًا من حديثك .. أقسم لك .

قال (كاهان) فى صرامة :

ــ أرأيت فى حياتك رجلَ مخابرات مصرى ، يرتجف رعبًا على هذا النحو ؟ هيا يا (إيزاك) .. اعترف بخطئك .

صاح (إيزاك) :

ــ مستحيل !

ثم عاد يلوِّح بالأوراق ، هاتفًا :

ــ هذا التقرير يؤكِّد أن (رشدى كامل) تاجر خردوات بسيط ، يحيى (الموسكى) ، ولكن من يؤكِّد أن الجالس أمامنا هو نفسه (رشدى كامل) ؟

أجابه (إليعازر) :

هذا يا سيِّدى .

التفت إليه (كاهن) و (إيزاك) ، فاستطرد ، وهو يلتقط ورقة أخرى من جهاز (الفاكسميلى) :

ــ هذه الصورة وصلت عبر (الفاكسميلى) ، وأنتما تناقشان أمر هذا الرجل .

ورفع أمامهما الورقة ، التى تحمل صورة واضحة لـ (رشدى كامل) ، الذى يجلس أمامهما ..

وامتقع وجه (إيزاك) ، وهو يتطلَّع إلى الصورة ، فى حين ابتسم (كاهان) فى شماتة ، وهو يقول :

ــ لم يعد هناك شك .. إنها صورته .

بقى (إيزاك) صامتًا ممتقعًا لحظات ، ثم اندفع نحو الهاتف ، واختطف سمَّاعته من (إليعازر) ، وهو يقول :

ــ اسمعنى يا (داوود) .. هل تأكَّدت من هذه المعلومات ؟ .. هل تحدَّثت مع التجار الآخرين فى (الموسكى) ؟.. هل .. ؟

بتر عبارته ، وهو يستمع إلى (داوود) فى انتباه كامل ، قبل أن يعيد السمَّاعة إلى (إليعازر) فى حدة ، قائلًا :

ــ لا بأس .. اطلب منه إرسال باقى التقارير .

ثم التفت إلى (كاهان) ، مستطردًا فى توتر :

ـــ الجميع يعرفونه فى (الموسكى) ، فهو ابن تاجر أدوات تجميل ، توفى منذ عام واحد ، وهو وريثه الوحيد ، ولقد تسلم المتجر ، ويحاول إدارته على نحو جيد ، منذ وفاة والده .

حاول (كاهان) عبثًا إخفاء ابتسامته الشامتة ، وهو يقول :

ـــ لا بأس .. إنه مجرَّد خطأ .

رمقه (إيزاك) بنظرة غاضبة محنقة ، وهو يقول :

ـــ كنت أتصوَّر المصريين أكثر ذكاءً .

أجابه (كاهان) :

ـــ إنهم كذلك حتمًا ، مادمنا لم نتوصَّل بعد إلى عميلهم .

أطفأ (إيزاك) سيجارته فى عصبية ، وهو يقول :

ـــ سنتوصل إليه حتمًا .

ثم استلّ مسدسه من جيب سترته ، وألصقه بصدغ (رشدى) ، الذى اتسعت عيناه فى ذعر ، و (كاهان) يقول :

ـــ ماذا ستفعل ؟

أجابه (إيزاك) ، بكل مايملأ نفسه من غضب وحنق :

ـــ كنت أظن هذا واضحًا ، فهذا السخيف يعرف أكثر مما ينبغى ، وسأفعل أنا معه ما ينبغى .

وجذب إبرة المسدس ، مستطردًا فى صرامة :

ـــ سأقتله .

وانقبضت كل عضلة فى جسد (رشدى) ..

وابتسم ملك الموت .

* * *

• البقية فى الكتاب القادم من كوكتيل ٢٠٠٠ •

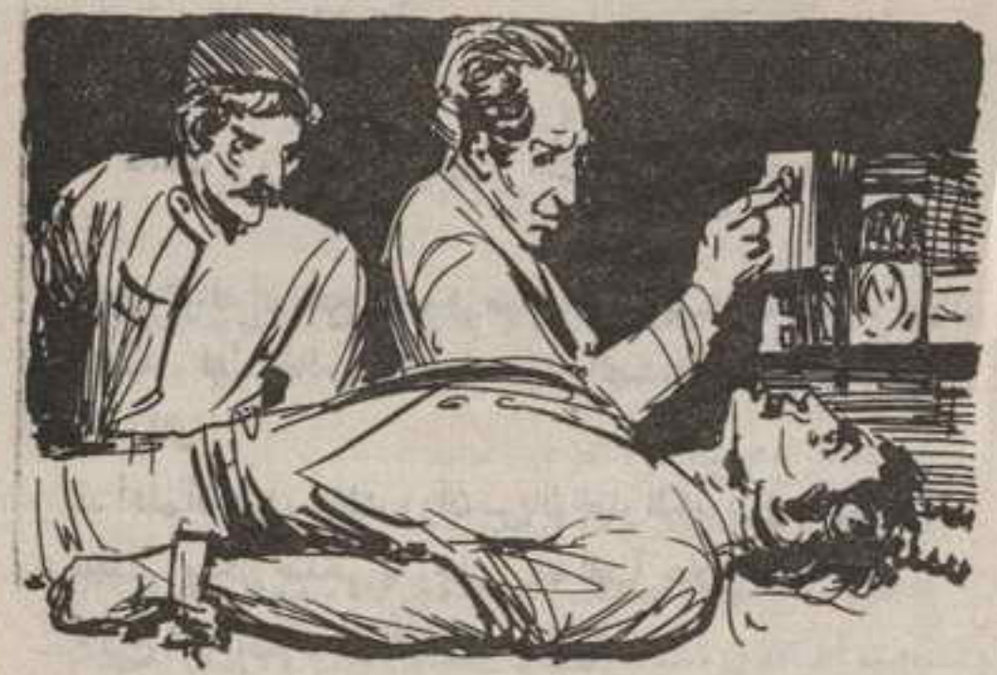

العلاج

(قصة قصيرة)

سرى التيار الكهربى فى عنف ، عبر الأسلاك الرفيعة ، إلى القطبين الملصقين بصدغ الرجل ، الراقد فوق منضدة طبية ، داخل حجرة ضعيفة الإضاءة ، فى مستشفى الأمراض العقلية ، فانتفض جسد الرجل فى قوة ، وانطبقت أسنانه فى عنف ، على قطعة المطاط السميكة ، التى انحشرت فى فمه ، وانقبضت عضلاته كلها ، حتى كادت تمزق تلك الأربطة الجلدية المتينة التى تُقيِّد ذراعيه ووسطه وساقيه إلى المنضدة ، وراح جسده يرتجف لثوان طويلة ، قبل أن تجذب يد ذراع آلة صغيرة ، فيتوقَّف سريان التيار ، وينهار جسد الراقد ، وتتوقَّف انتفاضته ، ويتصبَّب عرق غزير على وجهه ..

وفى هدوء ، جفَّف أحد الرجلين الآخرين فى الحجرة العرق ، عن

جبين الراقد ، فى حين قال الآخر ، الذى يجلس إلى جوار جهاز الصدمات الكهربية :

ــ تماسك يا رجل .. تماسك .. أنت تعلم أن ما نفعله بك مجرَّد علاج .

حاول الراقد أن يفتح جفنيه فى صعوبة ، ثم لم يلبث أن تركهما يهويان فوق عينيه ، فهزَّ الجالس إلى جوار جهاز الصدمات الكهربية رأسه فى أسف ، وقال :

ــ أعلم أنَّ هذا يرهقك ، وأن سريان التيار الكهربى فى رأسك يؤلمك ويزعجك ، ولكن صدقنى يا رجل .. إنه أفضل علاج لدينا .

ثم رفع عينيه إلى الرجل الآخر ، مستطردًا :

ــ أليس كذلك يا (وجدى) ؟

أومأ (وجدى) برأسه إيجابًا ، وتمتم :

ــ بلى .

مدَّ زميله يده إلى جهاز الصدمات الكهربية مرة أخرى ، وجذب ذراعه ، فعاد الراقد ينتفض فى ألم ، ويضغط قطعة المطاط بأسنانه فى قوة ، حتى أوقف الرجل الجهاز ، فتهالك جسد الراقد ، وعاد العرق يتصبَّب فوقه فى غزارة ، فامتدَّت يد (وجدى) تجفِّف العرق فى آلية ، فى حين استطرد زميله :

ــ أنت تعلم أن هذا مستشفى حكومى ، لا يتلقى المرضى فيه العلاج المناسب ، وكل من يأتى إلى هنا يكون مصابًا بمرض عقلى ، يمنعه من التعايش مع المجتمع ، وهذا يعنى ، فى عرف العاملين هنا ، أن عقله مصاب بخلل ما ،

يحتاج إلى علاج خاص .

ثم مال نحو الراقد ، مستطردًا :

ــ وهذا العلاج غالى الثمن ، وميزانية المستشفى محدودة .

وتراجع مضيفًا فى أسف :

ــ وأهل المريض عادة فقراء ، لا يملكون شراء الأدوية المناسبة ، أو عرض المريض على طبيب رحيم .

ثم دفع ذراع الجهاز مرة أخرى ، متابعًا :

ــ ولهذا لايوجد علاج سوى هذا .

انتفض جسد الراقد فى عنف أكثر هذه المرة ، وجحظت عيناه فى ألم ، وتشنَّجت أطرافه فى شدة ، وتصلَّب جسده ، حتى كاد يمزِّق أربطته ..

وفى هذه المرة استمرَّت الصدمة الكهربية لوقت أطول ، قبل أن يوقفها الرجل ، ويشير إلى جبهة الراقد ، قائلًا فى هدوء :

ــ العرق يا (وجدى) .

جفَّف (وجدى) العرق بنفس الآلية ، وهزَّ زميله رأسه بنفس الأسف ، قائلًا :

ــ كم تؤلمنى رؤيتك ، وأنت تعانى كل هذا ، ولكن ما العمل ؟ قلت لك إن هذا أفضل علاج لدينا .

ثم مال نحوه ، وغمز بعينه ، مستطردًا :

ــ ولا أكذبك القول .. إنه أحيانًا نوع من العقاب .

رفع (وجدى) عينيه إليه فى برود ، ثم عاد يجفف العرق ، وكأن الأمر لا يعنيه ، فى حين اعتدل زميله ، وهزَّ كتفيه ، متابعًا :

ـــ هذه هى الحقيقة .. نعم .. الصدمات الكهربية تعتبر هنا أيضًا مجرَّد عقاب ، لكل من يرفض الانصياع للأوامر ، مهما كانت قاسية ، أو ديكتاتورية ، أو سخيفة .. المسئولون هنا يتعاملون مع الجميع على أنهم مخلوقات من الفئة الثالثة أو الرابعة ، لا حق لهم فى الحياة ، أو فى التفكير .

وابتسم فى سخرية ، مضيفًا :

ـــ وكلمة المسئولين هذه ، تنطبق على الجميع ، من مدير المستشفى ، وحتى أصغر ممرِّض هنا .

اتسعت ابتسامته ، وشرد بصره لحظات ، وكأنه يسترجع ذكرى ما ، قبل أن يعود ليقول :

ـــ أحيانًا يكون الممرضون أكثر سطوة ، وأكثر قسوة ، ربّما لأنهم الذين يقضون الوقت الأكبر مع المرضى .

وعاد يميل نحوه ، مستطردًا :

ـــ أتعلم أنهم أكثر من يستخدم هذا الجهاز عادة ؟

وجذب ذراع الجهاز فى حركة حادة ، مضيفًا :

ـــ هكذا .

راح جسد الراقد ينتفض فى قوة ، وجحظت عيناه أكثر وأكثر ، وتصلَّبت أطرافه على نحو مخيف ، وترك الجالس التيار الكهربى يسرى فى جسد الراقد ، وهو يتطلَّع إليه بنظرات خاوية ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، ثم

أوقف الجهاز بغتة ، فتهالك الراقد فى انهيار تام ، وتصبَّب العرق على جبينه أكثر غزارة ، وامتزج بدموع الألم والمرارة ، التى تسيل من عينيه ، فتنهَّد الجالس وقال :

ـــ أعلم .. أعلم أن هذا يؤلمك كثيرًا ، ويكاد يذيب مخك داخل جمجمتك ، ولكن ماذا يمكننى أن أفعل .. إنه قدرك .. أنت تعلم أنه ليس من السهل أن ينتهى هذا العلاج ، فلا يوجد مخلوق واحد فى الدنيا كلها ، يمكنه أن يجزم بكونك شخصا عاقلًا ، بعد دخولك هذا المكان .. لا أحد يجرؤ على التصريح بهذا رسميًا .

ارتفع صوت طرقات قوية على الباب ، فابتسم الجالس ، وقال :

ـــ يبدو أنهم يحتاجون إلى الحجرة ، لعلاج مريض آخر .

وجذب ذراع الجهاز فى عنف ، وترك التيار يسرى فى جسد الراقد ، وهو يتطلَّع إليه فى خواء ، والطرقات ترتفع أكثر وأكثر ..

ثم اقتحم عدة رجال الحجرة ، بعد أن حطَّموا بابها ، وهتف الذى يرتدى زى الشرطة منهم :

ـــ أوقفوا هذا الجهاز .

أوقف الجالس الجهاز فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ كيف تقتحم الحجرة هكذا ؟

ولكن المصاحبين للشرطى اندفعوا نحو المنضدة ، وراحوا يحلّون وثاق الراقد فى لهفة ، فى حين التفت الشرطى إلى الجالس ، وسأله فى صرامة :

ـــ أأنت الطبيب ؟

ابتسم الجالس ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين هتف أحد الذين

يفحصون الراقد فى جزع :

ــ لا .. إنه أحد المرضى ، وذلك الواقف زميل له .

هتف الشرطى فى دهشة :

ــ أين الطبيب إذن ؟

أشار الجميع إلى الراقد ، وهم يجيبون فى آن واحد :

ــ ها هوذا .

وهنا اتسعت ابتسامة الجالس ، وتحوَّلت إلى ضحكة عالية ..

ضحكة مجنونة ..

وشامتة ..

* * *

كوكتيل ٢٠٠٠

روايات مصرية للجيب

قصة العدد

جزيرة القدر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ أمنية ..

ضجّت قاعة المؤتمرات الكبرى فى (نيويورك) بالتصفيق والهتاف ، عندما انتهت الدكتورة (وفاء) من إلقاء بحثها الأخير ، حول نظم الكمبيوتر والمعلومات ، والذى أضاف منهجًا جديدًا ، إلى مناهج البحث المعروفة ، فى عالم الكمبيوتر ، وتضرَّج وجه الدكتورة (وفاء) بحمرة الخجل ، وهى تبتسم فى سعادة ، وتقاوم فى صعوبة دموع الفرح ، من الإفلات من عينيها الجميلتين ، أمام هذا النجاح الرائع ، التى لم تحلم بمثله قط ، ونهضت من مقعدها خلف المنصة فى بطء ، وجسدها يرتجف ارتجافة ظفر لذيذة ، وأزاحت فى رقة خصلة ناعمة ، من شعرها الأسود الجميل ، قبل أن تهبط فى درجات السلم القصير ، لتلتقى بعلماء الكمبيوتر من كل الجنسيات ، الذين يملئون قاعة المؤتمرات ..

وفى حماس منقطع النظير ، هتف بها عالم كمبيوتر فرنسى ، وهو يصافحها فى حرارة :

ـ رائع يا سيِّدتى .. رائع .. لقد حقَّقت نصرًا فى عالمنا .

وابتسم عالم أمريكى ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـ باستخدام معادلاتك الجديدة ، لن يكون هناك كمبيوتر مغلق .. كل البرامج أصبحت مفتوحة .

كانت ترغب فى رد تهنئتهم بعبارات رقيقة ، ولكنها شعرت أنها ستنفجر باكية فى سعادة ، لو فتحت شفتيها لتنطق حرفًا واحدًا ، فاكتفت

بهزّ رأسها فى امتنان ، وهى تغالب دموعها ، وسمعت عالمًا أمريكيًا آخر ، يقول فى حماس :

ـ أراهن أنك ستصبحين مليونيرة ، بعد عام واحد على الأكثر ، فكل الشركات الأمريكية والأوربية ستتهافت لشراء برنامجك الجديد .

قاطعه صوت يتحدَّث الأمريكية ، بلكنة شرقية واضحة :

ـ أظنها ستفضِّل منح الامتياز لأبناء وطنها .

بدت لها نبرة الصوت مألوفة ، فالتفتت إلى صاحبها ، وهتفت :

ـ (فتحى) ؟! .. (فتحى قرمان) ؟! .. ماذا تفعل هنا ؟

صافحها الشاب الطويل النحيل ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ قرأت عن حضورك إلى مؤتمر الكمبيوتر التاسع ، فقرَّرت الحضور لرؤيتك .

هتفت :

ـ وهل أتيت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، لرؤيتى فحسب ؟

أطلق ضحكة مرحة ، وقال :

ـ من الواضح أنك لا تعلمين شيئًا عن أخبارى .

قالت فى بساطة :

ـ هذا صحيح ، فنحن لم نلتق مرة واحدة ، منذ تخرَّجنا .

تطلَّع إلى ملامحها الجميلة ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ هذا صحيح ، ولكنك لم تتغيَّرى كثيرًا يا (وفاء) .. ما زلت فاتنة وذكية .

تضرَّج وجهها بحمرة الخجل ، وغمغمت فى حياء :

ـ لابد أننى قد تغيرت بعض الشىء .. إننى فى الثانية والثلاثين .

أطلق ضحكة مرحة أخرى ، وقال :

ـ ياإلهى ! .. يلوح لى أنك المرأة الوحيدة فى العالم ، التى تذكر سنها بهذه البساطة يا (وفاء) .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ ولماذا أخفيه ؟

ضحك قائلًا :

ـ دعينا نلق هذا السؤال على نساء الدنيا .

ضحكت ضحكة قصيرة لدعابته ، ثم تأملته فى اهتمام .

إنه لم يختلف كثيرًا ، عمّا كان عليه فى أيام الجامعة .. فقط هذان الفودان ، اللذان وخطهما الشيب بعض الشىء ، وتلك الحلّة الأنيقة الفاخرة ، ورباط العنق الحريرى ..

وفى بساطة سألته :

ـ أحقًا أتيت إلى هنا لرؤيتى فحسب ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكننى لم آت من (القاهرة) كما تتصورين . فأنا أقيم هنا منذ عشر سنوات .

هتفت فى دهشة :

ـ هنا فى (أمريكا) ؟!

ابتسم ، وأشار بسبابته ، قائلًا :

ـ وفى (نيويورك) بالذات .

تطلّعت مرة أخرى إلى ثيابه الفاخرة ، وقالت :

ـ أراك قد حققت بعض النجاح هنا .

ضحك وقال :

ـ بل الكثير منه يا عزيزتى .

ومال نحوها ، مستطردًا فى همس مرح :

ـ لقد أصبحت مليونيرًا .

رفعت حاجبيها ، هاتفة :

ـ حقًا ؟!

هزّ كتفيه ، وقال :

ـ لقد فعلت مثلك ، واستثمرت علوم الكمبيوتر ، التى درسناها معًا ، ولكننى فعلت هذا بأسلوب مختلف ، والآن أمتلك واحدة من أضخم شركات الكمبيوتر فى (نيويورك) .

تهلّلت أساريرها ، وهتفت فى حماس :

ـ رائع يا (فتحى) .. كنت دائمًا تحلم بهذا .

تأمّل ملامحها لحظة ، قبل أن يقول :

ـ وبأشياء أخرى أيضًا .

تظاهرت بعدم فهم ما يلمّح إليه ، ولكن وجهها حمل آثار ذلك الحياء ، الذى ملأ نفسها ، فابتسم (فتحى) فى شىء من الثقة والارتياح ، واعتدل وهو يقول :

ـ والآن ما رأيك فى بيع برنامجك لشركتى ؟

تردّدت لحظة ، قبل أن تقول :

ـ أهى شركة مصرية أم أمريكية ؟

لوّح بكفه ، قائلًا بالأمريكية :

ــ (وفاء) .. إننى أحمل جنسية أمريكية الآن .

مطّت شفتيها ، وقالت :

ــ كنت أفضّل بيعها لشركة مصرية .

ابتسم وهو يقول :

ــ دعك من هذه الأفكار المثالية ، فلم تعد تصلح سوى لروايات السينما الرديئة .

ثم أضاف فى سرعة ، قبل أن يعطيها فرصة التفكير فى عبارته .

ــ ولكن دعينا نؤجّل ذلك الآن .. إننى أدعوك لتناول طعام الغذاء معى .

وتوقّف ليسألها فى اهتمام :

ــ أم أن هذا سيغضب زوجك ؟

أجابته فى خجل :

ــ إننى لم أتزوّج بعد .

هتف فى لهجة ، حملت نبرة فرح :

ــ حقًا !!

ثم انتبه إلى سخافة قوله ، فتنحنح وأضاف :

ــ أعنى هل أصيب الرجال بالعمى ؟

ابتسمت فى خجل ، وهى تقول :

ــ كنت أريد الحصول على شهادة الدكتوراه أوّلًا .

أمسك كتفيها ، وتطلّع إلى عينيها ، وهو يقول :

ــ ليس الآن يا (وفاء) .. سأستمع إلى قصة حياتك كلها ، على مائدة الغداء ..

هيا بنا .

لم تدر لماذا صحبته ، متجاهلة الحفل الختامى للمؤتمر ؟ ..

ربما هو الفضول ، الذى ملأ نفسها ، لمعرفة كيف يحيا ، بعد أن أصبح مليونيرًا أمريكيًا ..

نعم .. هو الفضول ..

لقد استقلّت معه سيارته الفاخرة ، التى لم تر مثيلًا لها ، فى حياتها كلها ، وبهرتها أناقتها واتساعها ، وكل ما تحويه من أجهزة صوتية ، وأدوات للراحة ، وتلفاز ، ومبرّد خاص ، وخلافها ..

وعندما بلغا منزله .. أو بالأحرى قصره ، كان انبهارها قد بلغ ذروته ..

إنه قصر كقصور الأساطير ، بأبراجه الأنيقة ، وشرفاته الواسعة ، المطلّة على المحيط ، وأثاثه الذى لم تحلم بمثله قط ..

وبكل الانبهار فى أعماقها ، هتفت به :

ــ ياإلهى ! .. هل تمتلك كل هذا حقًا يا (فتحى) ؟

ابتسم قائلًا :

ــ إننى أربح الكثير .

دعاها لتناول الطعام فى واحدة من شرفات القصر ، وبهرها ذلك العدد من الخدم ، الذين يقدمون الطعام ، ويحرصون على راحة سيّدهم وراحتها ، وشعرت بجسدها يسترخى ، فى ذلك المقعد الوثير ، وبأحلامها تنطلق بعيدًا ..

كم تمنت أن تحيا فى مكان كهذا ..

حدائق وأناقة وثراء وفخامة ..

إنها أمنية عمرها ..

وفى تراخ ونشوة ، تطلّعت إلى المحيط الممتد أمامها ، وهى تسترجع أحلام صباها ، وسمعت (فتحى) يقول :

ــ والآن ، ما قولك بشأن صفقتنا ؟

التفتت إليه ، مغمغمة فى هيام :

ــ صفقتنا ؟!

ابتسم قائلًا :

ــ نعم .. موضوع برنامجك الجديد .

أيقظها الحديث من نشوتها ، فاعتدلت قائلة :

ــ امنحنى بعض الوقت للتفكير يا (فتحى) .

قال فى حماس :

ــ التفكير فى ماذا ؟ .. لقد ابتكرت برنامجًا رائعًا ، وستسعى كل الشركات للحصول عليه ، ومادمت ستمنحينه لإحداها حتمًا ، إن عاجلًا أو آجلًا ، فلِمَ لا تكون شركتى ، خاصة وأننى سأمنحك ثمنًا يفوق ما سيمنحك إياه الآخرون ؟

قالت فى تردّد :

ــ ولماذا لا أمنحه لشركة مصرية ؟

عقد حاجبيه ، ومال نحوها ، قائلًا :

ــ اسمعى .. سأمنحك مليونى دولار ، مقابل برنامجك .

اتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تهتف :

ــ كم ؟!

ابتسم فى ثقة ، وهو يقول :

ــ لن يعرض عليك مخلوق واحد ، حتى الحكومة المصرية نفسها ، نصف هذا المبلغ .

تطلّعت إليه لحظات مشدوهة ، وقد أذهلها المبلغ ، الذى لم تحلم يومًا بامتلاك عُشره ، وارتجفت الكلمات على شفتيها ، وهمّت بقول شىء ما ..

ولكن تلك الطائرة قطعت أفكارها ..

طائرة أنيقة ، لامعة ، عبرت فوق القصر مباشرة ، ودارت دورة واسعة ، ثم انقضت على الحديقة الخلفية للقصر ، وهبطت فوق مهبط طائرات طويل ، يرتسم فى أناقة وسط الحديقة الغنّاء ..

وهتفت (وفاء) :

ــ هل تهبط الطائرة هنا ؟

تراجع (فتحى) ، وابتسم فى زهو ، وهو يقول :

ــ بالطبع .. إننى أمتلكها .

صاحت مبهورة :

ـ تمتلك طائرة خاصة ؟!

ضحك فى سعادة ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. إنها أبسط شىء ، يمكن أن يمتلكه مليونير هنا .. إنها طائرة ذات أربعة مقاعد ..

تطلَّعت إلى الطائرة فى انبهار ، وهى تقول :

ـ كم أتمنى ركوب طائرة مثلها .

رفع حاجبيه ، قائلًا :

ـ تتمنين ؟!

ثم نهض من مقعده ، واستطرد مبتسمًا :

ـ ولِمَ لا نحوِّل الحلم إلى حقيقة ؟

هتفت :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابها ملوِّحًا بكفه :

ـ أعنى أننى أدعوك لتحقيق أمنيتك ، والقيام برحلة على متن طائرتى الخاصة .

لم تصدِّق أذنيها ..

إنها ستحقق أمنية من أمنيات حياتها ..

ولكن من يدرى ، ما الذى يخفيه القدر ، خلف هذه الأمنية ؟ ..

من يدرى ؟ ..

* * *

٢ ـ الرحلة ..

هبط قائد طائرة (فتحى) الخاصة ، من كابينة القيادة الصغيرة ، وشدَّ قامته المديدة ، وكتفيه العريضين ، وربَّت على جسم الطائرة فى رفق وحنان ، وداعب مروحتها اليسرى ، وكأنه يطمئن على سلامتها ، قبل أن يسمع صوت (فتحى) من خلفه ، وهو يهتف :

ـ استعد للإقلاع يافتى .

التفت قائد الطائرة إلى (فتحى) ، وانعقد حاجباه قليلًا ، وهو يتفحَّص (وفاء) فى حيرة ، قبل أن تقترب منه مع (فتحى) ، الذى أشار إليه ، وهو يقول لها :

ـ أقدِّم لك (صبرى) .. الطيَّار الخاص لى .

رفعت حاجبيها ، هاتفة :

ـ (صبرى) .. أأنت مصرى ؟

أجابها (صبرى) .. فى اقتضاب :

ـ لى كل الفخر .

أما (فتحى) ، فقال فى زهو :

ـ نعم .. إنه مصرى .. لقد كان طيَّارًا مدنيًّا ، فى شركة (مصر) للطيران ، ولكننى أقنعته بالاستقالة ، والعمل لحسابى .. أليس كذلك يا (صبرى) ؟

ردَّد (صبرى) بنفس الاقتضاب :

ـــ بلى يا سيِّد (فتحى) .

شعرت (وفاء) بنبرة عجيبة فى صوت (صبرى) ، وكأنما لا يروق له العمل لحساب (فتحى) ، فتطلَّعت فى حيرة إلى ملامح (صبرى) الجامدة ، فى حين قال له (فتحى) :

ـــ أتعشَّم أن يكون لديك وقود كاف ، فالدكتورة (وفاء) ترغب فى القيام برحلة فى طائرتك .

أجابه (صبرى) :

ـــ لدينا وقود كاف ، ووقود احتياطى كذلك ، ولكن النشرة الجوية أعلنت عن قرب وقوع عاصفة ، و ..

قاطعه (فتحى) فى صرامة :

ـــ سنعود قبل العاصفة .

بدت ملامح (صبرى) جامدة بعض الشىء ، ولكن (وفاء) قرأت الضيق فى عينيه ، فغمغمت :

ـــ لا بأس .. يمكننا أن نؤجِّل هذا ، و ..

قاطعها (فتحى) فى حزم :

ـــ بل سنذهب الآن .

وعاونها على الصعود إلى الطائرة ، وهو يضيف :

ـــ هيا يا (صبرى) .

صعد (صبرى) إلى كابينة القيادة دون مناقشة ، وانتظر حتى استقرَّ (فتحى) و (وفاء) فى مقعديهما ، ثم أدار محرِّك الطائرة ، وانطلق بها فوق ممر الإقلاع ..

وحلَّقت الطائرة ..

حلَّقت فى نعومة وبساطة ، تؤكدان براعة (صبرى) وخبرته ، فقالت (وفاء) فى إعجاب :

ـــ لديك طيَّار رائع .

ابتسم (فتحى) فى زهو ، وقال :

ـــ إننى أحسن اختيار من يعملون لحسابى .

لم يرق ذلك الأسلوب المغرور لـ (وفاء) ، فأشاحت بوجهها ، وتطلَّعت من النافذة إلى قصر (فتحى) ، الذى راح يبتعد ويبتعد فى سرعة ، ثم لم تلبث (نيويورك) كلها أن اختفت خلف المحيط ، فتمتمت (وفاء) :

ـــ لقد ابتعدنا كثيرًا .

أجابها (فتحى) فى ثقة :

ـــ لا تجعلى هذا يقلقك .. (صبرى) أفضل طيَّار فى (نيويورك) كلها .

تمتم (صبرى) ، الذى لا يفصله عنهما سوى حاجز قصير :

ـــ مادمت تؤمن بهذا يا سيِّد (فتحى) ، فأنا أقترح أن نبدأ رحلة العودة ؛ إذ أن السحب الداكنة تتكاثف فى الأفق ، وأظن العاصفة فى طريقها إلينا .

قال (فتحى) فى صرامة :

ـــ سنقضى وقت طويل ، قبل أن تصل إلينا .

أجابه (صبرى) فى ضيق :

ـــ العواصف خادعة .. كل الطيارين ورجال البحر يعرفون هذا .

قال (فتحى) فى خشونة :

ـــ أنا أيضًا أعرفه ، وآمرك بالاستمرار فى الطيران .

استمعت (وفاء) إلى تلك المحادثة فى قلق ، وامتد بصرها يخترق زجاج الطائرة الأمامى ، ويتطلَّع فى خوف إلى السحب الداكنة ، التى حجبت الأفق تقريبًا ، وقالت :

ـــ أظن أنه من الأفضل أن نعود ، وأن ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، سطع البرق فجأة فى السماء ، ثم انهمرت الأمطار الغزيرة ، وكأن صنابير السماء قد انفتحت كلها فى آن واحد ..

وفى لحظات قصيرة ، كانت السحب الداكنة تغطى السماء كلها ، والأمطار تنهال على جسم الطائرة ، وترتطم به فى ضربات متتالية متلاحقة ، أشبه بطلقات مدفع رشاش قوى ، والبرق يلمع فى السماء ، ويضىء المكان على نحو مخيف ، فقال (فتحى) فى توتر :

ـــ نعم .. أظن أنه من الأفضل أن نعود .. عد بنا يا (صبرى) .

استدار (صبرى) بالطائرة ، وهو يراقب عداداتها فى قلق ، وزاد من سرعتها ، فى طريقه إلى (نيويورك) ، وسط عاصفة عاتية ..

وبدأ قلب (وفاء) يخفق فى توتر ..

هذا الطقس المحيط بها ، كان يملأ نفسها بالخوف ..

بل بالرعب ..

وهى تتمنّى الآن العودة إلى قصر (فتحى) ..

أو حتى إلى أى مكان يابس ..

أو ..

قطعت أفكارها تلك الصاعقة ..

صاعقة شقّت طريقها بين السحب الداكنة ، وانقضّت على الطائرة ..

وارتجّت الطائرة فى عنف ، واختلّ توازنها ، وانطلقت صرخة (وفاء) داخلها مدوية ، وهى تدور حول نفسها فى سرعة ..

وامتقع وجه (فتحى) ، وتجمّدت الكلمات فى حلقه ، واتسعت عيناه فى رعب ، فى حين عقد (صبرى) حاجبيه فى شدة ، وراح يبذل أقصى جهده وخبرته ومرارته ، ليستعيد سيطرته على الطائرة ، ومنعها من السقوط فى المحيط ..

ومضت دقائق أشبه بدهر كامل ، والطائرة تهوى ، وتدور حول نفسها ، و (وفاء) تصرخ ، وتصرخ ، وتصرخ ..

ثم استعاد (صبرى) سيطرته على الطائرة ..

كان من الواضح أنه قد بذل مجهودًا خرافيًا ، حتى اتزنت الطائرة الصغيرة ، وراحت تقاوم العاصفة مرة أخرى ، فى شىء من الثبات ، فقد تصبّب عرق غزير على وجه الطيّار ، وتصاعد صوت أنفاسه كثيرًا ، وهتف به (فتحى) :

ـــ هل نجونا ؟

أجابه (صبرى) فى قلق واضح :

ـــ لست أدرى .. لقد استعدنا سيطرتنا على الطائرة فحسب .

سألته (وفاء) فى هلع :

ـــ ألا يكفى هذا ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لقد أفسدت الصاعقة التوازن الكهربى للطائرة ، وأحدثت خللًا

بالبوصلة ، كما أن جهاز الاتصال اللاسلكى لم يعد صالحًا للعمل .

سألته ، وهى تكاد تفقد وعيها رعبًا :

ــ وما الذى يعنيه هذا ؟

أجابها وكأنما يخنقه السؤال :

ــ يعنى أننا لا ندرى أين ينبغى أن نتجه ، حتى نعود إلى (نيويورك) ، وأن أمامنا نصف الساعة فقط ، قبل أن ينفد وقودنا ، ونهوى ..

ثم انعقد حاجباه أكثر ، وهو يضيف :

ــ ويبتلعنا المحيط .

وهوى قلب (وفاء) بين ضلوعها ..

* * *

مضى نصف الساعة بأسرع مما تصوَّر الجميع ، ولم تظهر (نيويورك) حتى فى الأفق ، وانهارت أعصاب (وفاء) تمامًا ، وهى تتصوَّر غرق الطائرة بها فى قلب المحيط ، فى حين راح (فتحى) يصرخ فى عصبية وارتياع :

ــ أين (نيويورك) .. أين هى يا (صبرى) ؟ .. ما الذى فعلته بنا ؟

كان (صبرى) يقاتل للانطلاق وسط العاصفة ، وهو يجيب فى حدة :

ــ لست أدرى أين نتجه بالضبط .. أخشى أننا نتوغَّل منذ نصف الساعة ، فى قلب المحيط ، بدلًا من أن نعود إلى (نيويورك) .

صرخ (فتحى) :

ــ نفعل ماذا ؟ .. إذن فقد قتلتنا أيها الفاشل .. قتلتنا أيها الحقير .

صاح به (صبرى) فى صرامة :

ــ اصمت أيها الجبان السخيف .. لن أحتمل غطرستك لحظة واحدة بعد الآن .

صرخ به (فتحى) :

ــ ماذا تقول ؟! .. إننى أنا الذى ينقدك أجرك .

هتف (صبرى) فى غضب :

ــ فلتذهب أنت وأجرك إلى الجحيم .. لقد سئمت كل هذا .

وفجأة أصدر محرِّك الطائرة قرقعة مخيفة ، ثم صمت تمامًا ، فأضاف (صبرى) فى توتر :

ــ أظنك ستذهب إلى الجحيم ، بأسرع مما تتصوَّر .

شحب وجه (فتحى) فى شدة ، حتى كاد يحاكى وجوه الموتى ، وتشبَّث بمقعده فى رعب هائل ، فى حين هتفت (وفاء) فى ارتياع :

ــ أيعنى هذا أننا .. أننا سنسقط ؟

أجابها ، وهو يمسك عجلة القيادة فى قوة :

ــ بل يعنى أن الذى يجيد السباحة فقط ، هو الذى سينجو من هذا الموقف .. لو كان حظه أفضل من إله الحظ نفسه .

بكى (فتحى) فى انهيار ، وهو يقول :

ــ لست أعرف السباحة .

تطلَّعت إليه (وفاء) فى هلع ، ثم رفعت بصرها إلى نافذة الطائرة ، حيث أظلمت السماء ، ولم يتوقَّف انهمار الأمطار منها ، وانهار فى قلبها كل أمل فى الخلاص والنجاة ..

و (صبرى) أيضًا شعر باليأس ..

إنه ــ كطيَّار محترف ــ يدرك تمامًا استحالة النجاة ، من مثل هذا الموقف ..

طائرة خالية من الوقود ، وسط عاصفة عاتية ، وأمطار غزيرة ، و ..

وفجأة انعقد حاجباه ، واتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ..

مستحيل أن يكون هذا الذى أمامه حقيقة !! ..

مستحيل !!

إنه يهذى ولا شك ! ..

وفى ذهول ردَّد :

ــ مستحيل !

سألته (وفاء) :

ــ ماذا حدث ؟

أشار أمامه ، قائلًا :

ــ أترين هذا ؟

انتزعت نفسها من مقعدها ، ومالت إلى الأمام ، تتطلَّع إلى حيث يشير ، ثم اتسعت عيناها فى ذهول ..

كان أمامها ، وعلى بعد كيلو مترين تقريبًا ، صفَّان من الأضواء المتوازية ، يظهران وسط الظلام ، ويمتدَّان إلى مسافة مناسبة ..

وفى دهشة ، سألت (وفاء) :

ــ ما هذا ؟

أيقن أنها ترى ما رآه ، فأجابها والحيرة تقطر مع حروف كلماته :

ــ إنه مهبط طائرات .

أنعشت العبارة الأمل ، فى نفس (فتحى) ، فهتف :

ــ مهبط طائرات ؟! .. هل يمكنك بلوغه يا (صبرى) ؟ .. هل يمكنك هذا ؟

تشبَّث (صبرى) بعجلة القيادة ، وهو يقول :

ــ نعم .. يمكننى قيادة الطائرة وكأنها طائرة شراعية بلا محرِّك ، وأظننا نستطيع بلوغ ذلك المهبط بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

ترك (فتحى) مقعده ، وصاح به :

ــ ماذا تنتظر إذن أيها الغبى ؟ .. هيا .. اتجه إليه .. هيا .

كظم (صبرى) غيظه وغضبه ، وركّز مشاعره كلها فى بلوغ ذلك المهبط العجيب ، الذى لاح له على نحو أشبه بالمعجزة ، وسط المحيط ، وهو يسأل نفسه عن سر وجوده ..

وانزلقت الطائرة ، وسط الرياح والأمطار ، متجهة إلى ذلك المهبط ..

ثم اتضحت ملامح الجزيرة الصغيرة تدريجيًا ..

جزيرة محدودة ، يمتدّ وسطها ذلك المهبط الجوى العجيب ..

وهبطت الطائرة وسط صفى الأضواء ، واصطدمت إطاراتها بالأرض غير الممهّدة فى عنف ، وانكسر إطارها الأيمن ، فانحنت فى شدة ، واصطدم جناحها بالأرض ، فتحطّم فى قوة واحتكّ باطن الطائرة بأرض الجزيرة ، فى صرير مزعج مخيف ، اختلط بصراخ (وفاء) ، وشهقات (فتحى) ..

ثم توقّفت الطائرة ..

ولثوان ساد داخلها سكون وصمت رهيبين ، يوحيان بأن ركابها الثلاثة قد لقوا حتفهم مع السقوط ، قبل أن يرتفع صوت (وفاء) ، وهى تقول فى عصبية :

ــ هل نجونا ؟

أجابها صوت (صبرى) :

ــ أظن ذلك .

وهنا انطلق صوت (فتحى) ، وهو يقهقه ضاحكًا ، ويهتف :

ــ نجونا .. لقد نجونا .

كان يضحك على نحو هستيرى ، ولكن (صبرى) تجاهله تمامًا ، وهو يغادر الطائرة ، قائلًا :

ــ ترى كيف يوجد مهبط مثالى كهذا ، وسط جزيرة صغيرة كهذه ؟

اتجه نحو أحد المصابيح ، الممتدّة على جانبى الطائرة ، ورفعه يفحصه ، قبل أن يقول فى دهشة بالغة :

ــ عجبًا !.. إنه أبسط مصباح رأيته فى حياتى .. كرة من الزجاج ، بداخلها شمعة بدائية .. ياله من مهبط طائرات عجيب !

لحقت به (وفاء) ، وهى تسأله :

ــ ولكن كيف أتى إلى هنا ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ــ بل قولى من صنعه ؟ ولماذا ؟

انتفض جسد (وفاء) فى ذعر ، عندما انبعث من خلفها صوت يقول :

ــ أنا .

كان الصوت هادئًا للغاية ، وعلى الرغم من هذا فقد التفتت مع (صبرى) إلى مصدره فى سرعة ، ووقع بصرهما على شيخ أصلع . له ملامح أشبه برهبان التبت ، ويرتدى ثوبًا مماثلًا لثيابهم ، ولقد انحنى أمامهما فى احترام ، وهو يستطرد بالعربية :

ــ أنا صنعت هذا ، وكنت أنتظركم .

ردّد (صبرى) فى دهشة :

ــ تنتظرنا ؟!

أجابه الشيخ فى احترام وهدوء :

ــ نعم .. أنتظر قدوم طائرتكم ، مع رفيقكم الثالث ، الذى لم يغادرها بعد .

ثم التفت إلى الطائرة ، مستطردًا :

ــ المليونير (فتحى قرمان) .

وسطع البرق فى نفس اللحظة ، ليكمل الصورة ..

صورة الخوف ..

والغموض .

* * *

٣ ــ الشيخ ..

اتسعت عينا (فتحى) ، وسقط فكه السفلى فى ذهول ، وهو يحدّق فى وجه الشيخ الأصلع ، قبل أن يهتف به فى عصبية :

ــ ماذا تقول أيها المأفون ؟ .. إننى لم أرك فى حياتى قط ، ولم ألتق بك أبدًا ، فكيف تدّعى معرفتك إياى ؟!

ظلّت ابتسامة الشيخ تزين وجهه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ أنا أيضًا لم ألتق بك يا سيّدى ، ولم أر أحدكم أبدًا ، ولكننى أعرفكم تمامًا ، وكنت أعلم أنكم ستأتون الليلة ، وأعددت كل شىء لاستقبالكم .

تطلّعت (وفاء) إلى وجه الشيخ فى دهشة وحيرة ، فى حين سأله (صبرى) فى توتر :

ــ أأنت ساحر يا رجل ؟

هزّ الشيخ رأسه ، وقال بابتسامته الهادئة :

ــ بل أنا مجرّد حارس يا سيّد (صبرى) .. حارس الجزيرة .

رفع (صبرى) حاجبيه فى دهشة ، وقال :

ــ أتعرف إسمى ؟

انحنى الشيخ أمامه ، وهو يقول :

ــ إننى أعرف الكثير ياسيّدى .

ثم أشار إلى كوخ قريب ، بدا فى صعوبة وسط الظلام ، وهو يقول :

ــ والآن هلّا تبعتمونى إلى كوخى المتواضع ؟

تبعه الثلاثة فى حيرة وحذر إلى الكوخ ، وهناك أضاء الشيخ مصباحه ، وأشار إلى مائدة خشبية قديمة ، اصطفت فوقها ثلاثة أطباق من الحساء ، ما زالت الأبخرة تتصاعد منها ، وقال :

ــ كنت أخشى أن يبرد الحساء .

تبادل الثلاثة نظرات الدهشة ، ولكن رائحة الحساء الشهى دغدغت الجوع الكامن فى أمعائهم ، والذى أوجدته الإثارة وأنجبه التوتر ، فاتجهوا إلى المائدة ، واصطفوا حولها ، وارتشفت (وفاء) رشفة من الحساء ، قبل أن تقول فى دهشة :

ــ إنه ساخن بالفعل .

وعقد (صبرى) حاجبيه ، قائلًا :

ــ وهناك ثلاثة أطباق .

أما (فتحى) ، فقد تذوَّق الحساء فى حذر ، ثم قال :

ــ لا بأس به على الإطلاق .

وبعدها راح يحتسيه فى نهم ، وكذلك فعل (صبرى) و (وفاء) ، فى حين جلس الشيخ القرفصاء ، فوق أريكة خشبية قريبة ، وراح يتابعهم بابتسامته الهادئة ، حتى انتهوا من تناول الحساء كله ، فقال الشيخ :

ــ لقد أعددت لكم ثلاثة أسرة .. اثنان فى الحجرة الشرقية ، وواحد للدكتورة (وفاء) ، فى الحجرة الغربية .

تبادل الثلاثة نظرات الدهشة مرة أخرى ، وسألت (وفاء) الشيخ :

ــ هل كنت تعلم أننا رجلان وامرأة ؟

أجابها فى هدوء :

ــ بالطبع .

سأله (فتحى) فى حدة :

ــ كيف تعرف كل هذا ؟

أجابه بهدوئه المثير :

ــ إنه تاريخ الجزيرة ، وأنا أحفظه عن ظهر قلب يا سيِّدى .

ردَّد (فتحى) فى دهشة :

ــ تاريخ ؟

سطع البرق مرة أخرى ، وألقى ضوءه على وجه الشيخ ، فارتجفت (وفاء) فى رهبة ، وقالت فى انفعال :

ــ متى تنتهى هذه العاصفة اللعينة ؟

أتاها الجواب على لسان الشيخ فى هدوء ، وهو يقول :

ــ فى السابعة إلا الربع يا بنيتى .. ستتوقف فجأة ، كما بدأت .

كان هذا الجواب مذهلًا بحق ، ودفع الثلاثة إلى التطلّع لساعات معاصمهم ، قبل أن يقول (صبرى) :

ــ إنها السادسة وخمس وعشرون دقيقة الآن .

وهنا هتف (فتحى) فى توتر :

ــ كل هذا لا يعنينى .. أريد العودة إلى (نيويورك) ، وبأقصى سرعة .

أطرق الشيخ برأسه ، وقال فى لهجة ملؤها الأسف :

ــ من المؤسف أن هذا لن يحدث .

عقد (فتحى) حاجبيه ، وهو يهتف بالشيخ :

ــ ماذا ؟ .. وما الذى يدعوك إلى هذا القول أيها المخرِّف ؟

رفع الشيخ وجهه إليه ، وأجاب :

ــ قدرك يقول هذا يا سيِّد (فتحى) .

هتف (فتحى) مستنكرًا :

ــ قدرى ؟!

ثم تراجع بمقعده ، وأضاف فى حدة :

ــ آه .. الآن فقط فهمت اللعبة .

تطلَّع إليه الشيخ فى صمت ، فى حين ردَّدت (وفاء) :

ــ اللعبة ؟!

صاح (فتحى) فى غضب :

ــ نعم .. اللعبة القذرة .

والتفت فى سرعة إلى (صبرى) ، مستطردًا :

ــ لعبتك .

قفز الغضب إلى وجه (صبرى) ، وهو يهتف :

ــ أنا ؟!

قفز (فتحى) من مقعده ، وراح يصرخ ، وهو يلوِّح بسبابته فى وجه (صبرى) :

ــ نعم .. لعبتك الحقيرة السخيفة .. إنك تحاول إبعادى عن

(نيويورك) ؛ لتفسد صفقتى الأخيرة هناك .. كم دفع لك منافسى (دالتون) ، من أجل هذا ؟

هبَّ (صبرى) من مقعده ، وهو يقول فى غضب :

ــ اسمع يا سيِّد (فتحى) .. لقد احتملت سخافاتك كثيرًا ، طوال عام كامل ، ولكنك تجاوزت حدودك حقًّا هذه المرة ، ولن أسمح لك بهذا ، وليذهب عملك وقصرك كله إلى الجحيم .

صرخ (فتحى) :

ــ لا .. لن تخدعنى بغضبك المصطنع هذا .. إننى أفهم كل شىء .. رحلة بالطائرة ، ثم تتظاهر بتلف البوصلة ، وتقودنا إلى هذه الجزيرة الصغيرة ، التى يملكها (دالتون) حتمًا ، حيث يستقبلنا ذلك الشيخ المهرِّج ، ويحاول خداعنا ، بالمعلومات التى منحه إياها (دالتون) مسبقًا ، ليقنعنى أننى لن أعود أبدًا إلى (نيويورك) ، فأستسلم لهذا ، ويربح (دالتون) الصفقة ، وبعدها تنكشف الحقيقة ، و ..

قاطعه (صبرى) فى غضب :

ــ وهل نسيت أنك أنت التى اقترحت فكرة رحلة الطائرة هذه ؟

لوَّح (فتحى) بكفه ، هاتفًا :

ــ اقترحتها من أجل الدكتورة (وفاء) .

ثم التفت إلى (وفاء) ، وتابع :

ــ آه : لقد فهمت الآن .. أنت أيضًا تعملين لحساب (دالتون) اللعين .

انعقد حاجباها فى غضب ، وصاحت به :

اضبط لسانك يا (فتحى) ، ولا تنس أنك أنت الذى سعى لمقابلتى .

صرخ (فتحى) :

ــ وماذا فى ذلك ؟ .. لا ريب أن (دالتون) علم بأمر توجّهى لحضور مؤتمر الكمبيوتر ، وجمع الكثير من المعلومات عن المؤتمر ، حتى عرف بزمالتى لك فى الكلية ، وبعدها وضع خطته .

صاحت به (وفاء) فى غضب :

ــ أنت رجل مريض .

أما (صبرى) ، فأمسك بكتفيه فى عنف ، وقال :

ــ وماذا عن الصاعقة ، التى أصابت الطائرة ؟ .. أهى من صنع (دالتون) أيضًا ؟

زاغت نظرات (فتحى) ، وهو يقول :

ــ مجرّد مصادفة .. كنت ستبتكر حجة أخرى ، لو لم تسقط الصاعقة على الطائرة .

قال (صبرى) فى غضب :

ــ صدقت الدكتورة (وفاء) .. أنت رجل مريض .

صرخ (فتحى) ، وهو يحرّك ذراعيه فى عنف :

ــ بل أنا رجل ذكى ، كشف خدعتكم ، على الرغم من براعتها ، وكشف أمركم ، و ..

قاطعته (وفاء) فى حزم :

ــ ولكنك نسيت نقطة واحدة أيها الذكى .. إنها السابعة إلا الربع تمامًا الآن .

ثم أشارت عبر النافذة ، مستطردة :

ــ ولقد توقّفت العاصفة ..

* * *

لم يكن من العجيب ، بعد كل هذا ، أن أحدهم لم يذق للنوم طعمًا ، فى هذه الليلة ، بل إن أحدهم لم يأو إلى فراشه ، وإنما ظلوا حول مائدة الطعام ، لا يتبادلون كلمة واحدة ، حتى تطلّع (صبرى) إلى ساعته ، وغمغم :

ــ إنها منتصف الليل تمامًا .

تلفّتت (وفاء) حولها ، وقالت :

ــ أين الشيخ ؟ .. أين ذهب ؟

أجابها (صبرى) فى خفوت :

ــ لقد انصرف بعد توقّف العاصفة ، ولست أدرى أين ذهب .

سألته (وفاء) :

ــ ألديك تفسير لكل هذا ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا .. لست أفهم حتى ما يحدث هنا .. كيف عرف هذا الشيخ كل ما يعرف ؟ وما الذى يقصده بأن هذا قدرنا ؟

قالت فى حيرة وتوتر :

ــ كل شىء هنا يبدو عجيبًا ، ومخيفًا ، ولا يوجد لدينا أى تفسير .

رفع (فتحى) عينيه ، وقال فى مرارة :

ـــ أنا لدىّ تفسير .

سألته فى لهفة :

ـــ ماهو ؟

بدت عيناه حمراوين كالدم ، زائغتين فى ارتياع ، وهو يجيبها :

ـــ التفسير الوحيد لكل هذا ، هو أننا لم نعد على قيد الحياة .

وخفض عينيه مرة أخرى ، مستطردًا :

ـــ لقد متنا .

هتف (صبرى) فى استهجان :

ـــ متنا ؟! .. أى قول أحمق هذا ؟

هزَّ (فتحى) رأسه ، وقال :

ـــ لو أنك تمعَّنت فى هذا القول ، لوجدته أعقل مما تتصوَّر .. ألم تسمع عن (البرزخ) ؟ .. تلك المرحلة التى تمرّ بها الروح ، مابين الحياة والموت .. لقد متنا جميعًا فى حادث الطائرة ، ونحن الآن فى (البرزخ) ، نستعد لمغادرة الحياة التى نعرفها .

سرت ارتجافة فى جسد (وفاء) ، مع هذا التصوّر ، فى حين انعقد حاجبا (صبرى) فى شدة ، وهو يحدّق فى وجه (فتحى) ، قبل أن يقول فى استنكار :

ـــ كلَّا .. إنه تصور سخيف .

رفع (فتحى) رأسه إليه فى مرارة ، وهو يقول :

ـــ حاول أن ..

قاطعه (صبرى) فى حدة :

ـــ لن أحاول شيئًا ، ولن تقنعنى نظريتك أبدًا .. إننا نجلس هنا ، فى كوخ حقير ، فوق جزيرة صغيرة فى قلب المحيط ، وأنا أشعر بالبرد والقلق والتوتر ، وكل هذه عوامل دنيوية بشرية ، يشعر بها الجسد ، ولا تشعر بها الروح .. إننا أحياء ياسيِّد (فتحى) .. ربما كان الغموض يحيط بنا ، ولكننا أحياء .. هل تفهم ؟

ثم هبَّ من مقعده ، واتجه إلى النافذة ، وراح يتطلَّع عبرها إلى الطائرة المحطَّمة على الشاطىء ، قبل أن يضيف فى عصبية :

ـــ وكل ما يمكننى فعله ، هو أن أبذل أقصى جهدى ، لنغادر هذه الجزيرة الغامضة ، ونعود إلى (نيويورك) ، وإذا ماكُتِبَ لنا هذا ، فسيكون أوَّل ما أفعله هو أن أتقدَّم إليك باستقالة ، وأستقلّ أوَّل طائرة ، عائدًا إلى (القاهرة) .

غمغمت (وفاء) :

ـــ حسنًا تفعل .

رفع (فتحى) عينيه إليه ، وقال فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـــ ومن قال إنك ستجد الوقت لهذا .

قال (صبرى) فى صرامة :

ـــ المهم أن نحاول .

هزَّ (فتحى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ خطأ يا رجل .. يبدو أنك قد نسيت ما قاله ذلك الشيخ ، الذى يعرف كل شىء .. إننا لن نعود إلى (نيويورك) أبدًا .

وانحدرت من عينيه دمعة قهر ومرارة ، قبل أن يستطرد :

ـــ إنه قدرنا ..

* * *

٤ ـ الجزيرة ..

لم تدر الدكتورة (وفاء) متى وكيف استسلمت للنوم ، بعد كل هذه الأحداث ، ولكنها استيقظت فى الصباح التالى ، لتجد نفسها راقدة فى ذلك الفراش البدائى ، الذى صنعه لها الشيخ ، فنهضت منه ، وهى تشعر بالإرهاق والتعب ، وكأنها لم تذق طعم النوم قط ، وتثاءبت وهى تغمغم :

ـ كان (صبرى) على حق .. إننا على قيد الحياة .

ارتدت ثوبها ، وغادرت الكوخ ، ولاحظت الشمس المشرقة ، والسماء الصافية ، التى خلت من أدنى أثر لعاصفة البارحة ، ثم تطلّعت إلى الشاطئ ، ووقع بصرها على (صبرى) ، الذى وقف إلى جوار الطائرة عارى الصدر ، حافى القدمين ، يفحص جناحها المكسور وإطارها المحطَّم ، فاتجهت إليه فى خطوات متمهِّلة ، وقالت :

ـ صباح الخير .

ألقى نظرة سريعة عليها ، ثم عاد إلى فحص الطائرة ، متمتمًا :

ـ صباح الخير يا سيِّدتى .

سألته فى اهتمام :

ـ أهناك أمل فى إصلاحها ؟

أجاب فى اقتضاب :

ـ كل شىء يمكن إصلاحه .

واعتدل مستطردًا فى حنق :

ـ لو كانت هناك الأدوات اللازمة .

شعرت بالأسف لهذا الموقف ، ولكنها تجاهلت هذا الشعور ، أو حاولت ذلك ، وهى تدير عينيها فى الجزيرة ، قائلة :

ـ أظن أسوأ ما يمكن أن يحدث ، هو أن نضطر للبقاء فى هذه الجزيرة طويلًا .

أجابها ، وهو يحاول دفع الإطار المحطَّم جانبًا :

ـ بل أسوأ ما يمكن أن يحدث ، هو أن أحيا أنا و (فتحى) فى مكان محدود كهذا .

ابتسمت قائلة :

ـ أتبغضه إلى هذا الحد ؟

عقد حاجبيه ، وهو يجيب :

ـ بل أبغض هذا الوضع ، الذى تسبَّب فى وجودى فيه .

سألته :

ـ أتقصد وجودنا هنا ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل استقالتى من شركة الطيران ، وعملى لحسابه .

تطلّعت إليه لحظة ، وقالت :

ـ لا تنس أنك فعلت هذا بمحض إرادتك .

مطَّ شفتيه ، وقال :

ـ وهذا ما يزيد من إحساسى بالمرارة .

تحت الشيخ يأتى من بعيد ، حاملًا صندوقًا متوسط الحجم ، فقالت :

ـ ها هوذا شيخنا الغامض .

اعتدل يتطلّع إلى الشيخ ، الذى اقترب منهما فى بطء ، ثم وضع الصندوق أمام (صبرى) ، قائلًا :

ـ ها هى ذى الأدوات كلها .

حدّق (صبرى) و (وفاء) فى وجهه بذهول ، قبل أن يسأله الأوّل فى حدة :

ـ أية أدوات ؟

أجابه فى هدوء :

ـ الأدوات اللازمة لإصلاح الطائرة .

حدّق (صبرى) فى وجهه مرة أخرى فى ذهول ، ثم انحنى يفحص الصندوق ومحتوياته ، قبل أن يعتدل قائلًا فى توتر :

ـ كل ما أحتاجه بالفعل ، دون قطعة واحدة زائدة .

لم تتمالك (وفاء) نفسها ، فسألت الشيخ فى دهشة :

ـ هل تعرف شيئًا عن إصلاح الطائرات ؟

هزّ الشيخ رأسه نفيًا ، وحمل وجهه ابتسامته الهادئة ، وهو يجيب :

ـ مطلقًا يا سيّدتى .. إننى حتى لم أشاهد طائرة واحدة فى عمرى كله .

كادت تسأله كيف عرف المطلوب ، لإصلاح الطائرة ، ولكن (صبرى) سبقها بسؤاله ، قائلًا :

ـ كيف أتيت إلى هنا إذن ؟

أجابه فى هدوء :

ـ إننا أسرة عريقة ، نتوارث حراسة الجزيرة المقدّسة ، وكل منا يصل إليها بزورق من صنع الأسرة ، فى نفس يوم وفاة الحارس السابق له .

برقت عينا (صبرى) ، وأمسك كتفى الشيخ فى قوة ، هاتفًا :

ـ اذن فأنتم تمتلكون وسيلة اتصال بالعالم الخارجى .. أين هى يا رجل ؟ .. أخبرنى بالله عليك .

أزاح الشيخ يديه فى رفق ، وهو يقول :

ـ إننا لا نمتلك أية وسيلة للاتصال يا ولدى ، ولكن كل منا يعرف موعد وفاة سابقه بالتحديد .

هتف به فى حدة :

ـ كيف ؟

أجابه الشيخ فى بساطة :

ـ إنه تاريخ .. أعنى إنه القدر .

زفر (صبرى) فى توتر ، ولوّح بذراعه ، قائلًا :

ـ لن أحاول الفهم .. لقد يئست .

وعاد يفحص الطائرة فى اهتمام ، فى حين التفتت (وفاء) إلى الشيخ ، وسألته فى اهتمام بالغ :

ـ كيف تعرف كل هذا ؟

هزّ رأسه فى وقار ، وقال :

ـ لا يمكننى أن أخبرك يا سيّدتى .

سألته فى انفعال :

ـ ولماذا لا يمكنك هذا ؟

أجابها فى هدوء :

ــ لأنه من المحظور التدخل فى التاريخ

تراجعت فى حدة ، هاتفة :

ــ التاريخ ؟!

قفز إلى ذهنها فجأة خاطر خرافى أفزعها ، فحدقت فى وجه الشيخ فى تردد ، وهمت بإلقاء سؤال ما عليه ، لولا أن ارتفع صوت (فتحى) ، وهو يهتف :

ــ أين طعام الإفطار ؟ .. إننى جائع .. أين ذلك الشيخ المأفون ؟

توقعت (وفاء) أن يغضب الشيخ ، إلا أنه ظل محتفظا بابتسامته ، وهو يقول :

ــ معذرة ياسيدتى .. سأعد طعام الإفطار على الفور .

استدار لينصرف ، ولكنها أمسكت ذراعه فى حزم ، واستوقفته لتسأله :

ــ أخبرنى أيها الشيخ .. ما اسمك ؟

انحنى أمامها ، وأجاب :

ــ عبدك المتواضع (فانج) يا سيدتى .

سألته فى توتر :

ــ كيف تتحدث العربية يا (فانج) ؟

أجابها بابتسامته ، التى أصبحت تثير أعصابها :

ــ لقد تعلمتها لاستقبالكم يا سيدتى .

كان هذا الجواب يفزعها ، فألقت عليه ذلك السؤال ، الذى يجثم على صدرها :

ــ أأنت من المستقبل ؟

ارتفع حاجبا الشيخ فى دهشة ، ثم عاد يبتسم قائلا :

ــ من المستقبل ؟! .. كلا بالطبع يا سيدتى .. لست من المستقبل .. من أوحى إليك بهذا الخاطر العجيب ؟

صاح (فتحى) فى تلك اللحظة :

ــ الطعام .

وهنا انحنى (فانج) أمامها مرة أخرى ، وقال :

ــ معذرة يا سيدتى .. إننى مضطر للانصراف .

تطلعت إليه فى حيرة وهو ينصرف ، وسمعت من خلفها صوتا ساخرا ، يقول :

ــ من المستقبل ؟! .. يالها من فكرة !

التفتت فى حدة إلى (صبرى) ، وقالت :

ــ ألديك تفسير آخر ؟

هز كتفيه ، وقال :

ــ ربما كان مجرد قارئ للغيب .

قالت فى حدة :

ــ ربما .. ولكن هذا أيضا خاطر عجيب .

أجابها ، وهو يستخدم الأدوات ، التى أحضرها (فانج) ، لإصلاح الإطار :

ــ فليكن .. لا هذا ولا ذاك يعنيانى .. كل ما يهمنى الآن هو أن هذه الأدوات ستساعدنى ــ بإذن الله ــ على إصلاح الطائرة ، خلال يوم

واحد على الأرجح ، وبعدها يمكننا مغادرة هذه الجزيرة اللعينة .

سألته :

ــ وماذا عن الوقود ؟

أجابها ، وهو منهمك فى إصلاح الإطار :

ــ لدينا وقود احتياطى ، يكفى لساعتى طيران .

سألته فى دهشة :

ــ لماذا لم تستخدمه إذن ، عندما نفد وقود الطائرة ؟

التفت إليها فى سخرية ، قائلًا :

ــ وكيف كنت تقترحين وضعه فى خزان الوقود ، ونحن نطير ؟

عقدت حاجبيها فى غضب ، وأجابت :

ــ بثقب أرضية الطائرة إلى الخزان أيها الذكى .

رأت الدهشة على وجهه ، ولكنها أشاحت بوجهها فى كبرياء ، واتجهت نحو الكوخ ، وأحنقها أن هتف خلفها فى سخرية :

ــ لا تنسى استدعائى ، عندما ينتهى إعداد طعام الإفطار ياخبيرة الكمبيوتر .

وأعقب هذا بقهقهة عالية ، جعلتها تهتف محنقة :

ــ أيها الوغد .

وواصلت طريقها إلى الكوخ ، وهناك وجدت (فتحى) يقول لـ (فانج) فى خبث :

ــ حسنًا .. فلنجعلها ثلاثة ملايين .. ما رأيك ؟

هزَّ الشيخ رأسه نفيًا ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ أؤكد لك يا سيد (فتحى) ، أننى لا أمتلك أية وسيلة ، سرية أو علنية ، لمغادرة الجزيرة ، فكل منا يحطِّم زورقه فور وصوله .

تدخَّلت (وفاء) ، قائلة :

ــ لا داعى لخسارة الملايين يا (فتحى) .. (صبرى) يحاول إصلاح الطائرة .

هتف فى لهفة :

ــ حقًا؟! .. أتظنين أنه سينجح ؟

أجابه (فانج) فى بساطة :

ــ نعم .. سينتهى من إصلاحها مع غروب شمس اليوم .

تطلَّعت إليه (وفاء) فى دهشة ، وقالت :

ــ ولكنه يتوقَّع العمل ليوم كامل .

أجابها الشيخ :

ــ هذا صحيح ، ولكنه سيجد أن الجناح قد انفصل ولم ينكسر ،

وسيوفِّر له هذا الكثير من الوقت .

نقل (فتحى) بصره بينهما فى حيرة ، ثم قال فى عصبية :

ــ المهم هل سيمكننا مغادرة الجزيرة ؟

تطلَّعت (وفاء) إلى (فانج) ، تنتظر منه الجواب ، ولكنه ظلَّ صامتًا مبتسمًا ، فى حين وصل (صبرى) ، وهو يقول :

ــ هل أعددتم طعام الإفطار ؟

نهض (فانج) قائلًا :

ــ سيكون جاهزًا بعد دقائق .

هتف (صبرى) :

ــ عظيم .

ثم التقط منشفة قديمة ، ومسح بها يديه فى حماس ، جعل (وفاء) تسأله :

ــ ما أخبار إصلاح الطائرة ؟

أجابها بسرعة :

ــ عظيمة .. كنت أتصوَّر أن الجناح الأيمن مكسور ، ولكنه انفصل فحسب ، وهذا يعنى أن الإصلاح سيستغرق وقتًا أقل مما كنت أتوقَّع .

حدَّق (فتحى) فى وجهه بدهشة ، ثم هتف :

ــ يا للشيخ العجيب !

سأله (صبرى) :

ــ ماذا حدث منه ؟

أجابته (وفاء) :

ــ لقد أخبرنا منذ لحظات بما أخبرتنا أنت به الآن .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ حقًّا ؟!

ثم انعقد الحاجبان ، وهو يستطرد :

ــ هذا الشيخ يخفى سرًّا غامضًا .

تمتمت (وفاء) :

ــ ومخيفًا .

تنهَّد (فتحى) ، وقال فى خوف :

ــ الأمر يبدو كما لو أن هذه الجزيرة هى أرض القدر نفسه .

قال (صبرى) :

ــ يالها من فكرة !

ولكن العبارة أصابت عقل (وفاء) فى الصميم ..

نعم .. إنها الجزيرة التى يتصورها ..

جزيرة القدر .

* * *

٥ ـ كهف الأسرار ..

انتهى (صبرى) من إصلاح الطائرة ، مع مغيب الشمس ، وتنهَّد فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ لقد أصلحنا البطة العجوز .

هتف به (فتحى) فى لهفة :

ـ أيمكننا الرحيل إذن ؟! .. هيا بنا .. هيا .

أجابه (صبرى) فى خشونة :

ـ مهلًا يا رجل .. إننا لن نغادر هذه الجزيرة قبل الصباح .

صاح به (فتحى) :

ـ لماذا ؟ .. لماذا تنتظر حتى الصباح ؟ .. إننى لم أعد أحتمل البقاء هنا لحظة واحدة ، بعد إصلاح الطائرة .

قال (صبرى) فى صرامة :

ـ وأنا لن أسمح لك بتحطيم آخر أمل لنا ، بغرورك وعنادك وسخافتك وجبنك .. لقد أصلحنا الطائرة بالفعل ، ولكن البوصلة وجهاز الإرسال مازالا محطمين ، ولن أخاطر بطيران ليلى دونهما .. هل تفهم ؟

انكمش (فتحى) فى مكانه ، ثم لم يلبث أن هتف فى حدة :

ـ فليكن ، ولكن فور وصولنا إلى (نيويورك) ، اعتبر نفسك مفصولًا .

قال (صبرى) فى غضب :

ـ ما رأيك فى تقديم استقالتى من هذه اللحظة ؟

صاح به (فتحى) :

ـ أنت مسئول عن إعادتى إلى (نيويورك) .

وهنا تدخَّلت (وفاء) ، صائحة :

ـ كفى .. إنكما تتشاجران كصبيين صغيرين .

رمقها (صبرى) بنظرة غاضبة ، ثم أشاح بوجهه عنها ، فى حين قال (فتحى) فى عصبية :

ـ أنت على حق .

واندفع عائدًا إلى الكوخ ، مغمغمًا فى غضب :

ـ أين ذلك الشيخ اللعين ؟ .. متى سيعدّ طعام العشاء ؟

مطَّ (صبرى) شفتيه فى ازدراء ، وهو يتابعه ببصره ، قبل أن يقول :

ـ إنه يتصوَّر نفسه فى فندق ذى خمسة نجوم .

ابتسمت (وفاء) ، قائلة :

ـ هذا شأن كل المليونيرات .. يتصورون أن الدنيا قد خُلِقَتْ من أجلهم .

رمق (فتحى) بنظرة احتقار أخرى ، قبل أن يستطرد :

ـ القبور مليئة بأولئك ، الذين ظنوا أن الحياة لن تسير بدونهم .

تطلَّعت إليه لحظات فى صمت ، وقالت :

ـ من الواضح أنك مثقف .

أجابها فى ضيق :

ـ أنسيت أننى طيّار مدنى ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت فى حنان :

ـ لا .. لم أنس .

تطلّع لحظات إلى الشمس الغارقة فى الأفق ، ثم جلس على الرمال ، يراقب الأمواج الهادئة ، التى تضرب الشاطئ فى تتابع ورتابة ، ووقفت هى تتطلّع إليه فى إعجاب ، ثم جلست إلى جواره ، وسألته :

ـ ما أوّل ما ستفعله فى (القاهرة) ، بعد نجاتنا من هنا بإذن الله ؟

تنهّد فى عمق ، وأجاب :

ـ سأتقدّم بطلب ، لعودتى للعمل فى شركة (مصر) للطيران .

قالت فى حنان :

ـ يمكننى أن أعاونك فى هذا ، فشقيقى أحد مديرى الشركة .

هتف بها :

ـ حقًا ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تبتسم ابتسامة رقيقة جذّابة ، تطلّع هو إليها طويلًا ، قبل أن يقول :

ـ أتعلمين أن لك أجمل ابتسامة فى الدنيا كلها ؟

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وخفضت عينيها فى حياء ، وهى تتمتم :

ـ شكرًا .

خفق قلبه لأوّل مرة ، وهو يتأمّل جمالها الفتّان ، ثم سألها :

ـ أخبرينى يا دكتورة (وفاء) .. لماذا لم تتزوّجى حتى الآن ؟

هزّت كتفيها ، وقالت :

ـ لم أجد الشخص المناسب .

تطلّع إليها لحظات فى صمت ، ثم عاد يتطلّع إلى الشفق المظلم ..

وران عليهما الصمت طويلًا ..

طويلًا جدًا ..

وعندما قطعت (وفاء) حبل الصمت ، كان الظلام قد ساد المكان ، وهى تقول :

ـ إننى أشعر بالبرد .

ودّ لو ضمّها إلى صدره ، ومنحها الدفء والحب والحنان ، إلا أنه قاوم رغبته هذه ، وقال :

ـ عودى إلى الكوخ إذن ، وحاولى النوم مبكرًا ، فسنرحل مع الفجر .

بقيت جالسة إلى جواره دقيقة فى صمت ، ثم نهضت قائلة :

ـ أنت على حق .

وانصرفت عائدة إلى الكوخ ، تاركة إياه على الشاطئ ، يتطلّع إلى الظلام ، ويستمع إلى صوت الأمواج ، وهى تتكسّر على الرمال والصخور ..

ولم يدر كم بقىَ فى هذا الوضع ..

لقد سبحت به الذاكرة بعيدًا ، وراح يسترجع كل تفاصيل حياته السابقة ، من دراسته ، وعمله بشركة الطيران ، واستقالته ، والتحاقه بالعمل لدى (فتحى) ، و ..

وفجأة لمح (فانج) ..

نحه يسير بهدوئه المعهود ، متجهًا نحو مرتفع صخرى قريب ..

وفجأة راودته رغبة عارمة فى مراقبة (فانج) ..

رغبة وضعت نفسها على الفور موضع التنفيذ ، فانتزع نفسه من مكانه ، وأسرع على أطراف أصابعه خلف الشيخ ، الذى واصل سيره فى هدوء ، حتى بلغ حائطًا صخريًا أملس ، عند قاعدة المرتفع ، فتوقف أمامه ، ومد يده يلصقها بزاويته العليا ..

واتسعت عينا (صبرى) فى دهشة ..

لقد رأى الحائط الصخرى ينزاح جانبًا ، وتنبعث من خلفه أضواء قوية ، غاص فيها الشيخ ، قبل أن يعود الحائط الصخرى إلى موضعه ، ويغلق خلفه ، ويعود الظلام والسكون إلى المكان ..

وفى دهشة ، هتف (صبرى) ، وهو يسرع نحو الحائط الصخرى :

ــ ما هذا ؟ .. افتح يا (سمسم) !!

بلغ الحائط الصخرى ، وراح يفحصه فى حيرة ..

كان جدارًا من الصخر الأملس ، من المستحيل أن يتصوَّر مخلوق واحد أنه من صنع البشر ، أو أنه قادر على الحركة ..

وفى اهتمام ، فحص (صبرى) الزاوية العليا للحائط الصخرى ، ولكنه لم يجد فيها شيئًا يميِّزها عن باقى الحائط ، فتراجع متمتمًا فى حيرة :

ــ ما الذى يحدث هنا ؟

لم يكن يدرك ما يحدث بالفعل ، ولكنه كان واثقًا من أنه شىء يحمل حل لغز الجزيرة ..

جزيرة القدر ..

* * *

تقلَّبت (وفاء) فى فراشها كالمحمومة ، وهى تفكِّر فى لغز الجزيرة الغامضة ، التى ساقها القدر إليها ..

لماذا جاءت إلى هنا ؟

هل ستعود ؟ ..

كيف يمكنها أن تحيا مرة أخرى ، دون أن تعرف حل هذا اللغز ؟

قلَّب عقلها الأمر على كل وجوهه ، وحاولت أن تجد تفسيرًا لذلك اللغز الغامض ، إلا أن عقلها عجز تمامًا عن هذا ..

وفجأة شعرت بحركة مريبة أمام باب حجرتها ، فانتفضت فى ذعر ، وهبَّت جالسة على طرف الفراش ، وخفق قلبها فى خوف ، عندما لمحت تلك اليد ، التى أزاحت ستارة الباب ، قبل أن تسمع صوت (صبرى) ، وهو يقول :

ــ دكتورة (وفاء) .. أأنت مستيقظة ؟

ازدردت لعابها ، وتنهَّدت فى ارتياح ، وقالت :

ــ نعم يا (صبرى) .. ماذا حدث ؟

دلف إلى حجرتها ، وهو يقول فى انفعال :

ــ لقد تتبعت الشيخ .

لم تسأله لماذا فعل ، وإنما سألته فى لهفة :

ــ وماذا وجدت ؟

لوَّح بكفه ، قائلًا :

ــ أشياء غامضة ومثيرة .

سألته فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟

ارتفع من عند باب الحجرة صوت (فتحى) ، فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

ـ يا للصفاقة ! .. كيف جرؤتما على اللقاء سرًا ؟

التفت إليه (صبرى) ، وقال فى صرامة :

ـ كف عن هذه السخافات ، واستمع إلى ما كشفته .

نسى (فتحى) على الفور أمر الصفاقة واللقاءات السرية ، وقال فى قلق :

ـ ما الذى كشفته ؟

أجاب (صبرى) :

ـ هناك كهف سرى ، على هذه الجزيرة ، ومن المؤكد أنه يخفى سر كل هذه الألغاز .

سألته (وفاء) :

ـ وأين هذا الكهف ؟

قصّ عليهما ما حدث بالتفصيل ، وأشار إلى الوسيلة ، التى فتح بها (فانج) الحائط الصخرى ، وكيف عجز هو عن العثور عليها ، فقالت (وفاء) فى حماس :

ـ إنه قفل حرارى ، يلتقط حرارة اليد ، ويحوّلها إلى طاقة كهربية ، لفتح الباب السرى .

أطلق (فتحى) من بين شفتيه صفيرًا ، وقال :

ـ هذا الصينى يمتلك أجهزة متطوّرة للغاية ، وهو يخفى جهاز اتصال حتمًا .

تجاهلته (وفاء) ، وهى تسأل (صبرى) :

ـ أنت تعرف موضع ذلك الجدار الصخرى .. أليس كذلك ؟

أجابها فى حماس :

ـ بلى .. أتحبين الذهاب إلى هناك ؟

هتف (فتحى) :

ـ بالطبع .. سنذهب جميعًا .. هيا بنا .

غادر ثلاثتهم الكوخ ، واتجهوا نحو المرتفع الصخرى ، حيث يوجد الحائط الأملس ، ولكن (فتحى) قال فجأة فى يأس :

ـ لقد تأخرنا .. ها هوذا الصينى .

التفت (صبرى) و (وفاء) إلى حيث يشير (فتحى) ، وقال (صبرى) فى غيظ :

ـ لقد غادر اللعين كهفه السرى .

ثم اندفع نحو (فانج) ، مستطردًا :

ـ ولكنه سيعود إليه .

فوجئ (فانج) بـ (صبرى) ينقضّ عليه ، فتراجع فى دهشة ، قائلًا :

ـ ماذا هناك يا سيّد (صبرى) ؟

أحاط (صبرى) عنق (فانج) بذراعه فى عنف ، وقال فى صرامة :

ـ ما رأيك فى العودة إلى كهفك السرى يا سيّد (فانج) ؟

تحشرج صوت (فانج) ، وهو يقول :

ـ أى كهف سرى يا سيّد (صبرى) ؟

وصل (فتحى) و (وفاء) فى هذه اللحظة ، وقال (فتحى) فى عصبية :

ــ لا داعى للإنكار أيها الشيخ الأحمق .. لقد راقبناك ، وعرفنا كل شىء .

لم يحاول (فانج) الإنكار ، بعد هذه العبارة ، وقال :

ــ من الخطأ أن تذهبوا إلى هناك .. إنكم ستفسدون كل شىء لو فعلتم .

شدَّد (صبرى) من ضغط ذراعه على عنق (فانج) ، وهو يقول :

ــ ولكننا نصر .

أما (وفاء) ، فسألت (فانج) فى انفعال :

ــ هيا يا (فانج) ، لماذا ترفض أن تقودنا إلى هناك ؟

أجابها بصوت مختنق :

ــ لأن هذا خطأ .

قالت فى توتر :

ــ دعنا نحن نحدِّد الخطأ والصواب يا (فانج) .

هزَّ رأسه فى نفى ، قائلًا :

ــ ليس من حقى أن أفعل .

وهنا دفعه (صبرى) أمامه فى عنف ، وهو يقول :

ــ سنجبرك إذن .

دفعه أمامه إلى الجدار الصخرى الأملس ، وقال فى خشونة :

ــ افتحه .

قال (فانج) فى إصرار :

ــ لا يمكننى أن أفعل .

ولكن (صبرى) أمسك معصمه فى عنف ، وحمله فى قوة ، وألصق راحته ، بالزاوية العلوية للحائط الصخرى ..

وفى بطء ، انزاح الحائط الصخرى ، وغمر الضوء وجوه الجميع ..

وللحظات ، غشى الضوء أبصار الثلاثة ، ثم فتحوا عيونهم ..

واتسعت العيون عن آخرها ..

كان ما يرونه أمامهم مذهلًا ..

مذهلًا بحق ..

* * *

٦ ــ القدر ..

حتى فى أكثر الاحتمالات غرابة وخيالية ، لم يتصوَّر (صبرى) أو (فتحى) أو (وفاء) أن يجدوا شيئًا كهذا ، فى جزيرة نائية مجهولة ، فى قلب المحيط ..

لقد كانت أمامهم قاعة هائلة ، اكتظت بأجهزة الكمبيوتر ، وعشرات الأجهزة والشاشات الأخرى ..

وفى انبهار ، هتفت (وفاء) :

ــ ما هذا ؟ .. عالم (ديزنى)(*) ؟!

وفى غمرة ذهوله ، تخلّى (صبرى) عن عنق (فانج) ، وتقدَّم إلى القاعة ، وراح يدير عينيه فيها مبهورًا مشدوهًا ، وسمع (فتحى) يهتف :

ــ ياإلهى ! .. إنها قاعة كمبيوتر كاملة .. إنها تساوى مليار دولار على الأقل .

وهتفت (وفاء) :

ــ ولكنها ليست أجهزة حديثة .. إن عمرها يعود إلى أوائل السبعينات .

قال (فانج) فى هدوء أسف :

(*) ديزنى لاند : أعظم وأكبر مدينة ملاهى فى العالم ، أنشأها (والت ديزنى) ، مبتكر شخصية (ميكى ماوس) ، وهى تحوى أحدث وأطرف مبتكرات التكنولوجيا فى العالم أجمع ، إلى جوار ألعاب التسلية ، التى لا مثيل لها فى العالم كله .

ـ بل إن عمرها مليونا عام على الأقل .

التفتوا إليه فى دهشة ، وهتف (فتحى) مستنكرًا :

ـ مليونا عام ؟! .. أأنت مخبول يا رجل ؟ .. من كان يمكنه صنع شىء كهذا ، منذ مليونى عام ؟ .. أو حتى منذ خمسين عامًا فحسب .

أجابه (فانج) :

ـ لقد صنعها (كيرو أوهايو) ، ونقلها إلى هنا بنفسه .

حدَّقت (وفاء) فى وجهه ، وقالت :

ـ أنت مجنون بالفعل .. لقد توفى (كيرو أوهايو) ، منذ عشرة أعوام فحسب ، وترك خلفه أعظم مصانع أجهزة الكمبيوتر فى العالم ، فكيف بنى هذه القاعة المبهرة ، منذ مليونى عام ؟

تنهَّد (فانج) ، وقال :

ـ لا بأس .. ما دمتم قد كشفتم الأمر ، فلن يضير أن تعلموا كل شىء .. (كيرو أوهايو) ، الذى تتحدثين عنه ، هو السابع على هذه الأرض ، أما من صنع هذا الشىء ، فهو الخامس .

بدت عبارته أشبه بلغز غامض ، جعل الجميع يحدِّقون فى وجهه فى دهشة ، قبل أن تقول الدكتورة (وفاء) بصوت مرتجف :

ـ ماذا تعنى بهذا القول العجيب يا (فانج) ؟

تنهَّد (فانج) مرة أخرى ، وقال :

ـ أنا واثق من أن ما سأخبركم به سيصعقكم ، وسيبدو لكم أشبه بحلم مجنون ، ولكنه الحقيقة ، على الرغم من كل غرابته واستحالته ..

ولكى تفهموا ما سأقول ، ينبغى أن أنقل إليكم أوَّلًا تلك النظرية ، التى توصَّل إليها (كيرو أوهايو) الخامس ، منذ مليونى عام تقريبًا .

غمغم (فتحى) :

ـ هذا الشيخ مخرِّف مخبول .

ولكن (فانج) تابع ، وكأنما لم يسمع ما قاله (فتحى) :

ـ منذ حداثته ، كانت نظرية (أينشتين) تشغل عقل (كيرو أوهايو) الخامس ، وخاصة ذلك الجزء منها ، الخاص بالزمن والكون ، ففيه يقول (أينشتين) إن الزمن والكون لانهائيين ، ولكنهما محدودان ، ومعادلات (أينشتين) تثبت هذا ، ولكن دون دليل فعلى .

قال (فتحى) فى حدة :

ـ أرأيتما كذب هذا الرجل ؟ .. ألم أقل لكما إنه مجنون ؟ كلنا نعلم أنه لم يكن هناك أى (أينشتين) ، منذ مليونى عام .

قال (صبرى) فى صرامة :

ـ اصمت يا (فتحى) .

أطبق (فتحى) شفتيه فى غضب ، فى حين واصل (فانج) حديثه :

ـ النقطة الرئيسية ، التى حيَّرت (كيرو أوهايو) ، هى كيف يكون الزمن لانهائيًا ، ولكنه محدود ؟! .. ثم فجأة توصَّل إلى الحل .. الوسيلة الوحيدة ، التى يكون الزمن فيها لانهائيًا ، ولكنه محدود ، هو أن يكون دائريًا ، فمحيط الدائرة لانهائى ، حيث أن السائر على محيطها لن يجد بداية أو نهاية أبدًا ، ولكنه فى الوقت نفسه محدود ، بدليل قدرتنا على قياسه ، من نقطة إلى أخرى .

والتقط أنفاسه ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ــ ولكن كيف يثبت (كيرو أوهايو) نظريته ؟!

سألته (وفاء) فى اهتمام تام :

ــ كيف ؟!

أجابها (فانج) :

ــ لقد تفتق ذهنه عن نظرية مدهشة ، تقول إن الأحداث كلها ، بما فيها مولد وموت الأشخاص والأشياء ، كلها تمضى فى ذلك الزمن الدائرى ، بدئًا من نقطة محدودة ، وحتى تبلغ هذه الأشياء نقطة النهاية ، ثم تتبعها البداية مرة أخرى .. وهذه النظرية تعنى أن كل شىء يتكرَّر مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة .. إلخ .. كل الأشخاص تظهر مرة أخرى ، وتحيا بنفس النمط والأسلوب ، وتؤدى نفس الأفعال والأشياء ، وتنتهى نفس النهاية ، فى نفس التوقيت .. تمامًا كفيلم سينمائى ، يعاد عرضه مرة بعد مرة بعد مرة ، وكأننا أوصلنا نهايته ببدايته ، وتركناه يمضى بلا نهاية .

هتف (فتحى) :

ــ فكرة مجنونة .

رمقه (صبرى) بنظرة صارمة ، فى حين تابع (فانج) :

ــ وليثبت نظريته هذه ، اختار (كيرو) هذه الجزيرة النائية المهجورة ، ووضع عليها كل هذه الأجهزة ، التى تقتصر مهمتها على تسجيل كل ما يحدث فى العالم ، وعلى الجزيرة بالذات ، ثم التأكّد منه فى جيل ثان ، ودورة زمنية أخرى ..

وصمت لحظات ، ليلتقط أنفاسه ، ويجفِّف بعض العرق عن جبينه ،

قبل أن يستطرد :

ــ وبعد عشر سنوات من وضع الأجهزة على الجزيرة ، مات (كيرو) بأزمة قلبية ، وترك أجهزته تعمل ، بعد أن اختار أسرتى لحراستها وصيانتها ورعايتها ، على مر الزمن .. ومضت السنوات والسنوات ، وانتهت دورة زمنية ، وبدأت الأحداث تكرارها السادس ، وراحت أسرتى تسجِّل مايحدث لحظة بلحظة ، على سطح الجزيرة ، وتوارثنا حراسة الجزيرة ، وصيانة الأجهزة ، حتى انتهى الجيل السادس ، وبدأ الجيل السابع .. ومع بدايته ، بدأت مرحلة التحقق من نظرية (كيرو) .

قال (صبرى) فى اهتمام :

ــ وهل جاء (كيرو أوهايو) السادس ، فى نفس الموعد ، الذى وصل فيه (كيرو أوهايو) الخامس ؟

أومأ (فانج) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. فى نفس اللحظة بالضبط .. جاء حاملًا أجهزته وأدواته ، واستقبلته نسختى السادسة كما سبق أن استقبل نسختى الخامسة نسختى فى الدورة الزمنية السابقة ، ولكن سعادة (كيرو أوهايو) السادس كانت عظيمة . فقد جاء ليثبت نظريته ، فوجدها وقد أثبتت بالفعل ، ووجد الأجهزة التى وضعها سابقه ، فنقل ما سجلته إلى أجهزته ، وأعدم الأجهزة القديمة ، ورحل .

وهنا هتفت (وفاء) فجأة :

ــ لحظة يا (فانج) .. كيف عرف (كيرو أوهايو) أنه السادس أو الخامس بالتحديد ؟

أجابها (فانج) :

ـــ لم نعرف هذا إلا مع بداية الدورة الزمنية السابعة ، فقد لاحظنا أن رقم (خمسة) كانت له دلالة محدودة ، فى الدورة التى صنع فيها (كيرو أوهايو) الأجهزة الأولى ، ثم أصبح الرقم (ستة) هو المفضّل فى الدورة التالية ، وبعده الرقم (سبعة) فى هذه الدورة .

سألته فى حيرة :

ـــ وماذا يعنى هذا ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ ألم تنتبهى إلى أن الرقم (سبعة) هو كل شىء ، فى هذه الدورة الزمنية ؟ .. ألوان الطيف سبعة ، أيام الأسبوع سبعة ، فقرات العنق سبعة ، السموات .. الأرض .. كل شىء تقريبًا .

ارتسمت الدهشه على وجهها ، وقالت :

ـــ وكيف كانت الألوان فى الدورة السابقة ؟ .. أكانت ستة ألوان طيف فحسب ؟

ابتسم وهو يجيبها :

ـــ هذا أمر عسير الشرح يا سيّدتى .

قال (صبرى) :

ـــ وهل جئنا نحن فى الدورة السابعة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ بالطبع .. أنتم البشر الوحيدون ، الذين وطئوا أرض الجزيرة بأقدامهم ، بخلاف أسرتى ، والسيّد العظيم (كيرو أوهايو) ، وكنا ننتظر

وصولكم فى الدورة السابعة ، لتأكّد نظرية (كيرو) أكثر .

سألته (وفاء) :

ـــ وهل وصل (كيرو) السابع ؟

ابتسم مجيبًا :

ـــ نعم .. وكان لى شرف استقباله هذه المرة .

سألته فى حيرة :

ـــ لماذا لم يعلن على العالم نجاح كشفه إذن ؟

أجابها فى احترام :

ـــ قال إنه سيترك هذا لنسخته القادمة ، فى الدورة الثامنة ، فلقد بدأ المشروع فى الدورة الخامسة ، وكانت الدورة السادسة مرحلة تسجيل ، أما السابعة ، فهى مرحلة تأكيد للنظرية ، وفى الثامنة يحين موعد الكشف عن النظرية .

هتف (فتحى) :

ـــ ياإلهى ! .. إنها تكون بذلك أطول نظرية ، فى تاريخ الكون .

قال (فانج) فى حزن :

ـــ ولكنكم تعرّضون تجربة مليونى عام للفشل .

كاد (صبرى) يسأله عمّا يعنيه ، ولكن (وفاء) اندفعت تسأله فى اهتمام :

ـــ قل لى يا (فانج) .. ماذا سيكون قدرنا ؟

خفض (فانج) عينيه ، دون أن يجيب ، فسألته فى اصرار :

ـــ هل سننجو من هنا ؟

تنهّد (فانج) فى عمق ، وقال :

ـ إنكم ستغادرون الجزيرة عند الفجر .

سأله (فتحى) فى لهفة :

ـ وماذا بعد ؟

تطلّع إليه (فانج) لحظات فى صمت ، ثم قال :

ـ وستصادفكم عاصفة أخرى ، فتسقط طائرتكم ، بعد ساعتين من إقلاعها ، و ..

صاحت به (وفاء) :

ـ وماذا ؟

أجابها فى حزن ، وبصوت جمّد الدماء فى عروق الجميع :

ـ وتلقون مصرعكم .. جميعًا .

وانهار الأمل فى القلوب ..

* * *

٧ ـ التحدى ..

قضت (وفاء) ساعة كاملة تبكى فى حجرتها دون انقطاع ..

إذن فهذه هى النهاية ..

أن تلقى مصرعها غرقًا ، بعد يومين فحسب ، من إعلانها بحث عمرها كله ..

لماذا ؟ ..

لماذا يكون هذا قدرها ؟

وشعرت فى هذه اللحظة باحتياج شديد إلى (صبرى) ..

تمنت لو قضت بين ذراعيه الساعات الباقية من عمرها ..

ولكن أين هو ؟ ..

أين (صبرى) ؟.

غادرت حجرتها بحثًا عنه ، وهى تجفّف دموعها ، فوجدت (فتحى) يجلس إلى المائدة الخشبية ، فى الردهة الصغيرة كالمصعوق ، يحدّق فى النافذة المفتوحة فى صمت وخواء ، فاقتربت منه تسأله :

ـ أين صبرى ؟

فوجئت به يقول :

ـ لن أرحل .

خُيّل إليها أنها لم تسمع قوله جيّدًا ، فسألته :

ـ ماذا تقول ؟

فوجئت به ينفجر فى وجهها ، صائحًا :

ــ قلت : إننى لن أرحل .. أأنت صمّاء ؟ .. ألا تسمعين ؟ .. قلت : إننى لن أرحل .. لن أرحل .. لن أرحل .

سألته مبهوتة :

ــ ولكن لماذا ؟

صرخ فى وجهها :

ــ لأفسد هذا القدر .. لأنقذ نفسى من موت محتوم .

ثم هبّ من مقعده ، وراح يلوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ــ سأبقى هنا .. ربما عبرت طائرة ، أو سفينة .. سأشعل نارًا دائمة فى الليل ، حتى يأتى من ينقذنى .

قالت فى توتر :

ــ ولكنك سترحل معنا حتمًا ، ولن يمكنك الفرار من هذا ، لو أنه حقًّا قدرك .

هتف فى حدة :

ــ من قال هذا ؟ .. إننى سأبقى ، وسأتحدّى ما قاله الشيخ .. هذه هى الوسيلة الوحيدة لتحطيم القدر .

قالت فى صرامة :

ــ القدر لا يمكن تحطيمه .

وغادرت الكوخ غاضبة ، وتطلّعت ببصرها إلى (صبرى) ، الذى انهمك فى تثبيت جذعى أشجار إلى جانبى الطائرة ، فاتجهت إليه ، قائلة :

ــ ماذا تفعل ؟

أجابها فى حسم :

ــ أحصن الطائرة ضد الغرق .

سألته فى قلق :

ــ هل سترحل عند الفجر ؟

أجابها :

ــ كلنا سنرحل ، وسنعود إلى (نيويورك) سالمين بإذن الله .

أمسكت كفه ، وهى تقول :

ــ ولِمَ لا نتحدّى التاريخ ؟

التفت إليها يسألها :

ــ ماذا تعنين ؟

أجابته ، فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ــ دعنا نشارك (فتحى) فكرته ، فلا نرحل من هنا ، وبذلك نفسد التسلسل كله .

قال فى حزم :

ــ بل سنرحل .. وفى موعدنا تمامًا .

صاحت به :

ــ هل تصرّ على قتلنا جميعًا ؟

أجابها فى حدة :

ــ ومن قال إن نبوءة ذلك الشيخ ستتحقّق ؟

قالت بصوت مرتفع :

ــ كل ما قاله من قبل تحقّق .. أنسيت هذا ؟

صاح :

ـــ لأننا لم نحاول مقاومته .

سمع الشيخ صوتهما ، فاقترب منهما ، ووقف يستمع إليهما فى صمت ، فى حين جاء (فتحى) على صوت شجارهما ، وقال فى عصبية :

ـــ عدم رحيلنا هو الوسيلة المثلى لمقاومته .

أجابه (صبرى) فى حزم :

ـــ بل رحيلنا هو الوسيلة لذلك .

لوّح (فتحى) بذراعيه فى عصبية ، وهو يهتف :

ـــ إنك مجنون .. عنادك هذا سيقتلنا جميعًا .

صاح (صبرى) :

ـــ بل الخوف هو الذى سيحطمكم .. ألم تلاحظوا ما لاحظته أنا ، فى قصة (فانج) هذه ؟ .. إن الزمن لا يسير على وتيرة واحدة أبدا . والأحداث لا تتكرّر على نحو نمطى ثابت ، كما تتصوّرون ، وإلا فكيف تجاوز (كيرو) الخامس هذه الوتيرة ، ووضع أجهزته فى هذه الجزيرة ؟ .. وكيف جاء (كيرو) السادس ليجد الأجهزة هنا ، فى حين لم تكن هناك أجهزة ، عندما جاء (كيرو) الخامس ؟

برقت عينا (وفاء) ، وهتفت :

ـــ ياإلهى ! .. أنت على حق يا (صبرى) .. لقد حدث اختلال فى الدورة الزمنية بالفعل .

أشار (صبرى) إلى صدره ، وقال :

ـــ نحن أيضًا صنعنا اختلالًا آخر ، فى الدورة الزمنية ، ويمكنكما

سؤال (فانج) ، الذى سيؤكّد لكما أن أشباهنا فى الدورة السادسة ، لم يكشفوا سر الجزيرة .. أليس كذلك يا (فانج) ؟

أومأ (فانج) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ هذا صحيح .

صاح (صبرى) :

ـــ إذن فقد اختلّت الدورة الزمنية ، ولم تتحقّق نظرية (كيرو) ، بنسبة مائة فى المائة ، وهذا يعنى أنه من الممكن أن ننجو .

صرخ (فتحى) :

ـــ قل ما يحلو لك ، ولكننى لن أرحل من هنا .

أشار (صبرى) إلى الأفق ، وهو يقول له فى صرامة :

ـــ اسمع يا (فتحى) .. ستشرق الشمس بعد لحظات ، وسأقلع بهذه الطائرة ، سواء شئت أن تستقلها معى ومع (وفاء) ، أم أبيت .

عقد (فتحى) ذراعيه أمام صدره ، وقال فى عناد :

ـــ سأبقى .

وهنا قال (فانج) فى هدوء :

ـــ أخشى أنه لن يمكنك هذا يا سيّد (فتحى) .

قال (فتحى) فى عدوانية :

ـــ أتحداك أن تحاول منعى أيها الصينى .

وفجأة هوى (صبرى) على فك (فتحى) بلكمة كالقنبلة ، وهو يقول :

ـــ سأمنعك أنا .

تلقّى (فتحى) اللكمة ، وارتجّ كيانه كله ، ثم سقط كالحجر فاقد الوعى ، فانحنى (صبرى) يحمله ، وهو يقول :

ــ هيا يا (وفاء) .. سنرحل .

سألته فى انفعال :

ــ لماذا فعلت به هذا ؟

أجابها وهو يضع (فتحى) على مقعده داخل الطائرة ، ويربط وسطه بحزام المقعد :

ــ إننى أفعل هذا لصالحه ، فهذه الجزيرة بعيدة عن خطوط الطيران والملاحة ، ولست أملك بوصلة لتحديد موقعها فيما بعد ، ولو تركناه هنا فسينتهى إلى الأبد ، كفأر ضلّ طريقه ، وسط صحراء شاسعة ، مترامية الأطراف .

لم يعلّق (فانج) بكلمة واحدة ، فى حين تردّدت (وفاء) لحظة ، ثم أسرعت تستقلّ الطائرة ، وتربط حزام مقعدها حول وسطها ، وتبعها (صبرى) ، وجلس على مقعد القيادة ، وقال لـ (فانج) :

ــ الوداع أيها الشيخ .. ستثبت برحلتنا هذه أنه ما من بشرى يملك معرفة الغيب ، أو تحديد القدر .

قال (فانج) فى هدوء :

ــ وداعًا .. ومن يدرى ؟ ربما كنتم بهذا تتبعون قدركم ، دون أن تدروا .

أدار (صبرى) محرّك الطائرة ، وانطلق بها فوق أرض الجزيرة ، وخفق قلب (وفاء) فى قوة ، عندما اقتربت الطائرة من الشاطئ

بسرعة ، و ..

وارتفعت فى الهواء ..

وبدأت رحلة العودة ..

أو رحلة النهاية ..

* * *

تأوَّه (فتحى) فى ألم ، وهو يستعيد وعيه ، وتمتم فى احتجاج وسخط :

ــ ما هذا الصداع العنيف ؟.. أين أنا ؟

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما أدرك أين هو ، وصاح :

ــ ماذا فعلت أيها الأحمق ؟ .. لماذا اصطحبتنى فى رحلتك ؟ .. أنت مفصول .. مفصول .

أجابه (صبرى) فى غضب صارم :

ــ اصمت يا رجل .. لقد غادرنا الجزيرة بإقلاع ناجح ، ونحن نحلِّق الآن فوق المحيط ، فى طريقنا إلى (نيويورك) ، والجو صحو كما ترى ، وسنبلغ المدينة بعد نصف الساعة على الأكثر .

اتسعت عينا (فتحى) ، وهو يهتف :

ــ حقًّا ؟!

ثم عاد يهتف فى عصبية :

ــ ولكن كيف تثق باتجاهك ؟

أجابته (وفاء) ، محاولة تهدئة أعصابه :

ــ إنه يتجه إلى الغرب ، ويستدل بحركة الشمس ، وموضع شروقها .

صمت لحظة ، ثم عاد يهتف فى ذعر :

ــ ولكننا لن ننجو .. هكذا يقول قدرنا .

أجابه (صبرى) فى حدة :

ــ بل هكذا يقول جهاز (كيرو) ، وليس قدرنا .. إننا سننجو بإذن الله ، وسيكون هذا قدرنا .

ولكن (فتحى) صاح فى ذعر :

ــ كيف تفسِّر هذا إذن ؟

كان يشير إلى الشمال ، عبر نافذة الطائرة المجاورة لـ (وفاء) ، التى التفتت إلى حيث يشير بدورها ، ثم أطلقت شهقة فزع ..

فهناك ، فى الأفق ، كانت السحب الداكنة تقترب منهم فى سرعة ..

ولم ينطق (صبرى) بحرف واحد ..

لقد عقد حاجبيه فى صرامة ، وواصل انطلاقه نحو الغرب فى إصرار ، فى حين راح (فتحى) يصرخ :

ــ أرأيت ما فعلت بنا .. لقد قدتنا إلى حتفنا .. إننا سنلقى مصرعنا جميعًا .

صاح به (صبرى) :

ــ اصمت يا رجل .

ظلَّ (فتحى) يصرخ :

ــ أصمت ؟! .. أهذا ما تطالبنى به ؟ .. أن أموت فى صمت ؟ .. أهذا ما دفعتنا إليه ؟

صرخ به (صبرى) :

ـ قلت لك اصمت .

ولكن العاصفة بلغتهم بسرعة مدهشة ، فأظلمت السماء ، وانهمرت الأمطار ، والتمعت الصواعق وسط السحب الداكنة ..

وانكمشت (وفاء) فى مقعدها ، وأطلّ الرعب من عينيها ، دون أن تنبس ببنت شفة ..

إنها النهاية ..

تمامًا مثلما قال حارس الجزيرة ..

جزيرة القدر ..

إنها لحظاتها الأخيرة ، كما وصفها (فانج) تمامًا ..

لقد قال إنهم سيسقطون ، بعد ساعة طيران ، وها هى ذى ساعة الطائرة تشير إلى دقيقتين فحسب ، قبل إتمام ساعتى طيران ..

وارتجف جسدها فى رعب ، وهى تحدّق فى الساعة ، فى حين سيطر (صبرى) على الطائرة فى صعوبة ، وواصل (فتحى) صراخه :

ـ أنت قتلتنا .. أنت حطمت حياتى .. أنت المسئول ..

وفجأة أصدر المحرّك فرقعة مخيفة ، وهتف (صبرى) :

ـ ياإلهى .. إنه المحرّك !

ومالت مقدّمة الطائرة إلى أسفل ، وسقطت كالرصاصة نحو المحيط ..

وصرخ (فتحى) :

ـ لا .. لا أريد أن أموت .. لا .

أما (وفاء) ، فقد تجمّدت كل مشاعرها ، وهى تحدّق فى عقرب الثوانى بالساعة ..

بقيت خمس ثوان ..

أربع ..

ثلاث ..

اثنتان ..

واحدة ..

وارتطمت الطائرة فى عنف بسطح المحيط ..

وأظلمت الدنيا أمام عينى (وفاء) ..

وانتهى كل شىء .

* * *

٨ ـ الختام ..

« استيقظى يا (وفاء) .. استيقظى »

تسلَّل ذلك النداء ، عبر حواسها المنهارة ، وأيقظ مشاعرها النائمة .. فتمتمت فى صعوبة :

ـ أين أنا ؟

ثم لم يلبث عقلها أن هتف داخلها :

ـ أأنا على قيد الحياة ؟

ثم فتحت عينيها دفعة واحدة ، وحدَّقت فى وجه (صبرى) ، الذى ابتسم هاتفًا :

ـ حمدًا لله .. لقد استعدت وعيك .

هتفت به فى حرارة :

ـ (صبرى) ؟! .. أنحن على قيد الحياة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى سعادة :

ـ نعم يا (وفاء) .. كلنا على قيد الحياة .. لقد سقطت بنا الطائرة فى المحيط ، ولكن جذوع الأشجار ، المثبتة على جانبيها أنقذتنا من الغرق ، وجعلت الطائرة تطفو بنا على السطح ، حتى لمحتنا بارجة حربية أمريكية ، فانتشلتنا ، ونجونا .

أغمضت عينيها ، وهى تهتف فى حرارة :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أتاها صوت (فتحى) من خلفها ، يقول :

ـ لقد هزمنا جزيرة القدر .

التفتت إليه مبتسمة ، وهى تقول :

ـ بل هى جزيرة (كيرو أوهايو) ، و (صبرى) وحده تحدَّاها ، وهزمها ، وأنقذ حياتنا .

مطَّ (فتحى) شفتيه ، وهو يقول :

ـ لهذا سأعيده إلى عمله ، وأضاعف راتبه ، وأجعل منه طيَّارنا الخاص .

قال (صبرى) فى برود :

ـ كلا أشكرك .. لقد قررت العودة إلى عملى بـ (القاهرة) .

هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ـ كما يحلو لك .

ثم ابتسم لـ (وفاء) ، مستطردًا :

ـ أما أنا وأنت يافاتنتى ، فسنبدأ حياتنا من جديد .

قالت فى تردَّد :

ـ معذرة يا (فتحى) ، ولكن لو أنك تتحدث عن برنامجى ، فقد قررت منحه إلى الشركات المصرية بأى أجر معقول .

مطَّ شفتيه مرة أخرى ، وقال :

ـ قرار غير عملى بالمرة ، ولكنه لم يكن ما أعنيه .

وابتسم ملوِّحًا بكفه ، وقائلًا :

ـ إننى أتحدَّث عن زواجنا .. أنا وأنت .. ستعيشين معى فى القصر ، ويكون لك كل ما حلمت به وتمنيته .. أفخر الثياب ، أندر الحلى والمجوهرات وأثمنها .. سيارة مدهشة .. طائرة خاصة ، فيلات فى كل أنحاء الأرض .. كل أحلامك يا (وفاء) .. كلها .

شردت ببصرها فى هيام ، وهى تقول :

إننى أحلم بكل هذا بالفعل يا (فتحى) :

ثم تلاشت نظرة الهيام من عينيها ، وهى تستطرد فى حزم :

ـ ولكننى أحلم منذ صباى أيضًا بحلم أعظم .

والتفتت إلى (صبرى) ، مستطردة :

ـ برجل .. رجل بمعنى الكلمة .

ثم تضرَّجت بشرتها بحمرة الخجل ، التى زادتها فتنة وجمالًا ، وهى تخفض عينيها فى حياء ، قائلة :

ـ هذا لو أنه يقبلنى زوجة .

هتف (صبرى) فى سعادة ، وهو يحتضن يدها براحتيه :

ـ ياإلهى !. إننى لم أجرؤ على طلب هذا يا (وفاء) .. إننى أسعد مخلوق فى هذه الدنيا .

مطَّ (فتحى) شفتيه ، وقال فى ازدراء :

ـ قرار آخر غير عملى .

ونهض يغادر المكان فى حنق ، فى حين تطلَّع (صبرى) إلى (وفاء) فى سعادة ، وهو يقول :

ـ (وفاء) .. حبيبتى .. لست أصدِّق نفسى .. لقد حققت انتصارين فى يوم واحد ..

هزمت نظرية (كيرو أوهايو) ، وفزت بك .

داعبت أنفه بسبَّابتها ، وهى تقول :

ـ وماذا فى هذا .. ألم تتعلَّم درسًا من جزيرة القدر ؟

ومالت نحوه ، هامسة فى حبّ :

ـ إنه قدرنا .

وسرى الحب بين جسديهما ، وقلبيهما ..

إنه حبهما ..

وقدرهما .

* * *

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

فى هذا الكتاب

صفحة

● العقاب (قصة قصيرة) ٥

العقرب (سلسلة جديدة)

العصابة (الجزء الثالث) ١٥

● السيطرة (قصة قصيرة) ٨٤

لعبة الجواسيس ٨٩

● العلاج (قصة قصيرة) ١٤٣

قصة العدد

جزيرة القدر ١٤٩

● عزيزى القارئ ٢٢٣

الثمن فى مصر ١٥٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم